وزارة التعليـــم العالـــي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي –تبسة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

LARBI TEBESSI- TEBESSA UNIVERSITY

قسم: التاريخ والآثار

UNIVERSITÉ LARBI TEBESSI - TEBESSA

الميدان: علوم إنسانية واجتماعية

الشعبة: تاريخ

التخصص: تاريخ معاصر

دور زاوية الهامل في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية خلال العهد الاستعماري

جامعة العربي التبسي - تبسة
Université Larbi Tebessi - Tebessa

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر "ل م د" دفعة 2018

إعداد الطالبتين:

– بوزيدة علـــي

– براهمية إسلام

تحت إشراف الأستاذ

–عناق جمال

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة
فرادي ذوادي	أستاذ محاضر –أ–	رئيسا
عناق جمال	أستاذ محاضر –ب–	مشرفا ومقررا
بن عطاالله عبد الرحمان	أستاذ مساعد –أ–	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية 2018/2017

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

تعهد

أنا الموقع أسفله، الطالب (ة): براهمية إسلام

المُعد(ة) للمذكرة المعنونة بـ:

دور زاوية لعامل في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية خلال العهد الاستعماري

والمكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: تاريخ معاصر

وبعد اطلاعي على القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016 والذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها لا سيما المادة 03، المادة 07، المادة 19، المادة 35 منه:

أتعهد بتحمل المسؤولية العلمية والقانونية حول هذا العمل كما أشهد بخلوه من كل انتحال لأعمال الغير، اقتباس غير منسوب لصاحبه، ترجمة دون ذكر المصدر، وضع أشكال بيانية أو خرائط أو صور دون الإشارة إلى المصدر، أو ذكر أسماء محكمين دون علمهم أو موافقتهم أو مشاركتهم. وعليه أمضي هذا التعهد.

جامعة تبسة في: .....

مصادقة البلدية

الشريعة

03 ماي 2018

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
و بتفويض منه
السيد : سعيدان عمارة
عون الإدارة الإقليمية

توقيع الطالب

٨٤٤

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

تعهد

أنا الموقع أسفله، الطالب (ة): بوزيدة علي

المُعد(ة)للمذكرةالمعنونة بـ:

دور زاوية العامل في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية خلال العهد الاستعماري

والمكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: تاريخ معاصر

وبعد اطلاعي على القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016 والذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها لا سيما المادة 03، المادة 07، المادة 19، المادة 35 منه:

أتعهد بتحمل المسؤولية العلمية والقانونية حول هذا العمل كما أشهد بخلوه من كل انتحال لأعمال الغير، اقتباس غير منسوب لصاحبه، ترجمة دون ذكر المصدر، وضع أشكال ببانية أو خرائط أو صور دون الإشارة إلى المصدر، أو ذكر أسماء محكمين دون علمهم أو موافقتهم أو مشاركتهم. وعليه أمضي هذا التعهد.

جامعة تبسة في: مصادفة البلدية 03 ماي 2018

توقيع الطالب

نائب رئيس المجلس الشعبي البلدي
و بتفويض منه
السيد: سعيدان عمارة
رئيس الإدارة المحلية

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنـــــــــــــوان	الصفحة
شكر وتقدير	/
مقدمـــــة	أ-هـ
مدخـــــل	7-20
الفصل الأول: التعريف بزاوية الهامل تأسيسها ونظامها وموقف الاحتلال منها	22-38
المبحث الأول: التعريف بالمؤسسة	22-25
المبحث الثاني: تأسيس الزاوية وأهم مراحل تطورها	26-36
المبحث الثالث: موقف الاحتلال الفرنسي من تأسيس الزاوية	37-38
الفصل الثاني: الدور الجهادي لزاوية الهامل	40-73
المبحث الأول: موقف الزاوية من المقاومات الشعبية	40-48
المبحث الثاني: موقف الزاوية من الثورة التحريرية	49-70
المبحث الثالث: رد فعل السلطات الفرنسية من نشاط الزاوية	71-73
الفصل الثالث: دور زاوية الهامل في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية	75-94
المبحث الأول: الدين واللغة	75-82
المبحث الثاني: الهوية الوطنية	83-88
المبحث الثالث: العادات والتقاليد	89-94
خاتمـــــة	96-97
الملاحـــق	99-112
قائمة المصادر والمراجع	114-120

شكر وتقدير

الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما من شيء شئته يا رب.

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا ، رب لك الحمد أن وفقتنا على إتمام هذا العمل، ولك الحمد رب أن سخرت لي من عبادك من هو أعلم وأفضل منا على إنجاز هذا العمل وبعد :

نتوجه بأسمى معاني الشكر إلى أستاذنا العزيز "عناق جمال" المشرف والمؤطر لنا في بحثنا هذا ، شكرا على سعة صدرك أستاذي، وعلى توجيهاتك القيمة قبل وأثناء وبعد عملنا هذا .

الشكر لكل من كان له جهد من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل وفي الأخير نسأل المولى عز وجل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا ، ولله الحمد والمنة.

قائمة المختصرات

باللغة العربية

- د. ت: دون تاريخ
- د. ن: دون دار نشر
- د س: دون سنة
- ج: جزء
- ط: طبعة
- ص: صفحة
- تع: تعريف

باللغة الفرنسية

- P: Page

مدخل

مدخـــــل

أولا: التعريف بمنطقة الهامل (بوسعادة):

اختلفت الروايات في أصل تسمية البلدة بالهامل، شأنها شأن أغلب القرى الجزائرية التي يكتنفها غموض وقدسية وأخرى من الأساطير ومنه نذكر بعض الروايات المتناقلة في تسمية البلدة بالهامل:

- أطلق اسم الهامل على أساس رؤيا الجد سيدي عبد الرحيم بن أيوب، لما ناداه في منامه سيدي بوزيد، أحفظ الجمل الهامل في جبل الهامل ياعامر[1].

- هناك رواية أخرى تروي أن البلدة سميت بالهامل بسبب وجود جمل (هامل) أي تائه في تلك المنطقة، ويبدو أنه ما صادف الحجاج بها[2].

- وأيضا رواية أخرى، أن الهامل أخذت تسميتها من كونها تعيد الهامل من الناس إلى الجادة والهامل هو الضال وتعيد من خلت به السبل إلى الرشاد، فأسسها الأولى مسجد للصلاة وتعليم القرآن لأبناء القبائل المحيطة بها[3].

- أما الراي الآخر فقد ذكر فيه الشيخ محمد المكي بن عزوز في واحدة من قصائده:

لبلد الأشراف وهو الهامل *** سمي بذا لعل الأصل الكامل

فأبدل الكاف اختشاء العين *** بالهاء فاللحظة قرير العين

أو الهامل أهلوه في حب النبي *** هملوا بوادي العشق عالي الرتب

يقصد بالأصل الكامل النسب الشريف الذي همل في حب النبي صل الله عليه وسلم فاستبدلت كلمة الكامل بالهامل.

---

[1]- محمد بن المختار العلواني: محطات من تاريخ الثورة التحريرية في الهامل، ط01، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، 2015، ص 09.

[2]- عبد المنعم القاسمي الحسني: زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862-1962، ط01، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، 2013، ص 62.

[3]- محمد علي دبوز: نهضة الجزائر، المطبعة التعاونية، دمشق، 1385هـ، ص 52.

كما يمكن أن تكون التسمية من كون هذه القرية مهملة في وهدة تخفيها الجبال، وبالفعل فهي بعيدة عن طريق القوافل المتنقلة إلى الجلفة عن طريق بوسعادة ولولا أنها معقل علمي ماعرفها غير أبنائها وأهل الناحية المجاورة لها[1].

لكن أرجح الرأي الذي يقول: أن اسم الهامل أطلق على أساس رؤيا الجد سيدي عبد الرحيم بن أيوب، لما ناداه في منامه سيدي بوزيد وهو الرأي المتداول في معظم الكتب.

ثانيا: جغرافية الموقع:

وتقع قرية الهامل بالجنوب الغربي من مدينة بوسعادة وتبعد عنها ب 10 كلم على الطريق الوطني رقم 89 الرابط بين دائرة بوسعادة ودائرة عين الملح، وهي تبعد بحوالي 260 كلم جنوبا عن الجزائر العاصمة على القمم الأخيرة لجبال أولاد نايل في السفح الشرقي لجبل عمران، تتوسط السلسلة المعروفة بجبل أمساعد، وبالتالي تتوسط السلسلة الجبلية للأطلس الصحراوي الممتد من الشمال الشرقي للجزائر انطلاقا من الأراضي التونسية إلى غاية الجنوب الغربي متوغلة داخل التراب المغربي.

كما أن منطقة الهامل تعتبر البوابة الوسطى للصحراء الجزائرية الكبرى، فهي تقع على الحدود الفاصلة بين الإقليم التلي في الشمال والإقليم الصحراوي في الجنوب[2]، وعلى الطريق الكبير الرابط بين مدن الشمال بقسنطينة والجزائر العاصمة وبلاد القبائل ومن الجنوب سواء باتجاه الجلفة الأغواط غرداية أو باتجاه بسكرة تقرت ورقلة وبالتالي فهي تعد مفترق الطرق[3] (الملحق 01).

---

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 61-62.

[2]- الحاج مزاري: الهامل مركز اشعاع ثقافي وقلعة للجهاد والثورة، ط01، المطبعة العصرية، بلوزداد، الجزائر، 1993، ص 07.

[3]- وفاء بن علية: زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية، مذكرة ماجستير في الحديث والمعاصر، اشراف شاوس حباسي، باتنة، 2008، ص 38.

وتتمتاز منطقة الهامل بوديانها الشهيرة الدائمة الجريان ذات الينابيع الحلوة المتفجرة على كل الجوانب مجراها من أعالي كاف الطيور مرورا بتواب من أراضي أولاد عمر فرج ثم درمل الهامل والمقطع إلى بوسعادة.

تعتبر بساتين معذر بوسعادة موردا هاما للفلاحين خلال سنوات الستينيات والسبعينيات، وسبب ضعف الامكانيات المادية للفلاحين فقد هذا المورد أهميته اضافة للصعوبات والخسائر التي يسببها الوادي أثناء فيضانه، وكثيرا ما أدى لتخريب كامل البساتين، وبالنسبة للنشاط الصناعي فهو عبارة عن أعمال حرفية بسيطة كالنجارة والتلحيم والبناء والتجارة (تجارة التجزئة) دكاكين صغيرة أغلبها مواد غذائية وبالعودة لقطاع الزراعة فتوجد منطقتين لزراعة الحبوب هي القرارة القبلية والقرارة الظهراوية هذه الأخيرة شملها السد الأخضر وتم تشجيرها رغم جودتها، اضافة لمساحات زراعية أخرى بكل من المحيقن قرب درمل والقلعة البيضاء، ومساحة فلاحية أخرى تسمى النفخية تقع في تراب أولاد علي بن أمحمد بلدية سليم[1].

ثالثا: البعد التاريخي لمنطقة الهامل:

يفترض أن المنطقة عرفت وجودا بشريا من آلاف السنين اذ يرجع الوجود الأمازيغي في بلاد المغرب إلى 1500 سنة قبل الميلاد فلا نستبعد مرور قبائل الجيتول بالمنطقة اذ المعروف أنها قبائل اشتهرت بالبداوة وكانوا يتمركزون في اطار جغرافي واسع ويقع جنوب الممتلكات النوميدية والقرطاجية.

ويضاف إلى ذلك وجود الآثار الرومانية المتمثلة في القلاع والتي استولى عليها الهلاليون حين قدومهم للمغرب وفي القرن 07 م أيضا عرفت المنطقة وجودا بشريا وذلك بسبب دخول القبائل الزناتية التي عمرت جبال العمور، والقبيلة التي عمرتها هي قبيلة "واغمرت"[2].

[1]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 07.

[2]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 48.

فيذكر ابن خلدون "أما واغمرت ويسمون لهذا العهد غمرت، من ولد ورتنيص بن جانا، فكانوا من أوخر القبائل عددا، ومواطنهم متفرقة، وجمهورهم بالجبال، إلى قبلة بلاد صنهاجة من المشتل (جبل السحاري) إلى الدوسن"[1].

كما لا نستبعد وصول الرستميين (تيارت) وبني افرين (تلمسان) إلى المنطقة ما بين القرنين 8 و10 م واحتلالهم لها تحت نفوذهم وحسب جورج مارسيه فإن المنطقة الجنوبية ظلت آهلة بالقبائل الزناتية خلال ق 11 م، اضافة لبقاء بنو راشد بجبال عمور رغم تحول بعضهم إلى الشمال بمنطقة الشلف، ولايزال أحفاد بنو راشد بجبل عمور ويسمى أيضا بجبل راشد، والمتداول عليه عند أشراف بلدة الهامل أن تأسيسها يرجع إلى نهاية القرن 14 م من طرف أولاد سيدي عبد الله فرقة أولاد سيدي بوزيد جبل عمور "الأشراف".

كما ذكرنا سابقا حول أصل التسمية، فكان سيدي عبد الرحيم وعمه سيدي أحمد هم المؤسسون الأولون للبلدة[2]، وحسب ابن خلدون نجد انه في القرن 12 م بدأت قبائل رياح وسليم تتمركز في هضاب الحضنة، ومن قبائل بني هلال التي وفدت على المنطقة:

- الاثبج: الذين كانوا يسكنون بناحية الزاب وقلعة بني حماد، ومنهم العمور الذين سكنوا في البداية الجبال الواقعة بين الأوراس وجبل راشد والذي سمي باسمهم جبل (العمور) تزامنا لهجرة الهلاليين.

- عروة بن زغبة: وحسب ابن خلدون فقد جاؤوا في القرن 12م وينقسمون لفرعين، النظر بن عروة و خميس بن عروة.

* بطن خميس وهم بن نائل استقروا بنواحي جبل راشد (جبل العمور).

* النظر بن عروة فمن بطونهم السحاري ما بين الزاب وجبل راشد[3].

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج01، دار السلام، 2006 ص 123.

[2]- منير القاسمي: التاريخ المصور لزاوية الهامل، دار الخليل المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، رويبة، الجزائر، 2007، ص 15.

[3]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 50.

ومن بنو نائل نجد سيدي بوزيد بن علي يتصل نسبه بمؤسس الدولة الادريسية بالمغرب وانتقل بعد ذلك إلى بلاد الجزائر، حيث انتهى به المقام في جبل راشد الذي ترك أربعة أولاد: محمدو عبد الله، علي وعبد الرحمان، ويعتبرون أشراف الهامل ولهم التقدير والاحترام من القبائل الأعراش المجاورة، وهم يتفرعون إلى خمس:

1- أولاد سيدي أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الله بن سيدي بوزيد.

2- أولاد سيدي علي بن عبد الرحيم بن أيوب بن عبد الرحيم بن عبد الله.

3- اولاد سيدي بلقاسم بن علي بن عبد الرحيم بن أيوب.

4- أولاد سيدي أحمد بوغيدي ينتهي إلى سيدي عبد الرحيم بن عبد الله.

5- أولاد سيدي أحمد البكاي ينتهي إلى سيدي عبد الرحيم بن عبد الله[1].

وهذا مختصر للتواجد البشري بمنطقة الهامل حاليا وما جاورها والملاحظ أن شهرة المنطقة لم تبدأ مع بداية منتصف القرن 19 م، ومع ازدهار الحركة العلمية والثقافية في عهد مؤسس الزاوية القاسمية الشيخ محمد بن أبي القاسم انما بدات شهرتها مع القرن 13 م الموافق للقرن 7 هـ، إذ أن القرية عرفت توافدا كبيرا من مختلف القبائل المجاورة اذ كانت تأتي للتبرك بعين القرية وشجرة التوت التي منحت الكرامة للقرية.

رابعا: ظروف الاحتلال الفرنسي لمنطقة الهامل:

إن الأوضاع التي عرفتها الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي تعطي لنا صورة واضحة لمعرفة الظروف التي ظهرت فيها الزاوية وعملت فيها وتعاملت معها، منذ تأسيسها إلى غاية الاستقلال. لندرك من خلالها الظروف التي اشتغلت فيها الزاوية: البيئة السياسية والفكرية والثقافية، ومنه نستطيع ادراك أهمية ومكانة الزاوية في تاريخنا الثقافي والروحي والجهادي.

[1]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 14-17.

1- الظروف السياسية:

كانت الجزائر محل أطماع لكثير من الدول الاستعمارية الأوروبية (إسبانيا، البرتغال، انكلترا، وفرنسا...) حاولت كلها احتلال الجزائر والقضاء على سيادتها على البحر الأبيض المتوسط، وذلك للمواقف التاريخية للجزائر في الدفاع عن المسلمين وحمايتهم، وانقاذ مضطهدي الأندلس، وعامل آخر هو التنافس الاستعماري الشديد بين انكلترا وفرنسا. قال احد الباحثين: "لم يعرف التاريخ الحديث مأساة استعمارية كمأساة الجزائر، كما أن الانسان الحديث لم يواجه أزمة انسانية تهزه من الأعماق وتتحداه كأزمة الجزائر".

كانت فرنسا أكثر الدول الأوروربية اهتماما باحتلال الجزائر، ويبدو ذلك من خلال كتابات بعض زعماء فرنسا والأحاديث المتداولة في الأوساط السياسية والعسكرية الفرنسية، ويظهر هذا جليا من خلال المحاولات التي قامت بها فرنسا قبل الاحتلال مع بعض الدايات والبايات للحصول على الامتيازات على الشريط الساحلي: القالة، عنابة، سكيكدة[1].

وتم الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 م إلا أنه شهد مقاومة عنيفة جدا عكس ماتوقعه، ويمكننا أن نميز بين فترتين من الإحتلال الفرنسي:

أ- الفترة الأولى 1830 م إلى 1919 م: تميزت هذه الفترة بدخول شرس واستخدام جنوني للسياسات القمعية، اذ بعد أن ألقت خطاب المودة انتهى بتهديد كبير ان كان ثمة مقاومة: "وأما إن كان منكم معاذ الله خلاف ذلك حتى تختاروا محاربتنا ومقاومتنا اعلموا ان كل ما يصيبكم من المكروه والشر انما يكون سببه من جهتكم ... " وهو النداء الذي قرئ على الشعب الجزائري وفي النهاية هو حبر على ورق، فبداية الاحتلال تعني بداية الدمار والخراب فكان أول عمل قامت به هو نهب الأموال وترحيلها إلى فرنسا بداية بخزينة الدولة ويصرح الصحفي والرجل السياسي بريفوست بارادول (1829 م – 1870 م) في وقت لاحق بمايلي: "ستصبح الجزائر

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 75.

منبعا أساسيا لفرنسا وقاعدة لعضمتها في المستقبل ستمكننا من دخول القارة السمراء حيث لن تفكر أي قوة من اليوم فصاعدا في الاستقرار دون أن تضع حسابا لنا"[1].

وتعتبر هذه الفترة هي فترة حرب شاملة ضد الجنس البشري، لكن سرعان ما اصطدم الجيش الفرنسي بحائط المقاومة الشعبية العنيفة وكانت تلك المقاومة في الغالب يقودها شيوخ الطرق الدينية وقادة الزوايا وكان الشعب الجزائري مدفوع بفكرة الجهاد ومما تجدر الاشارة إليه هو أن بعض تلك الثورات استطاعت أن تحقق انتصارات رائعة وما عملت عليه هو زرع الروح الثورية في نفوس الجزائريين، ومن هنا نبرز أهم الثورات والانتفاضات التي عرفتها الجزائر[2]:

- مقاومة متيجة 1830م – 1832 م بقيادة الحاج سيدي السعيد، محي الدين بن المبارك ابن زعموم.

- مقاومة الأمير عبد القادر 1832 م – 1847 م بقيادة الأمير عبد القادر بغرب ووسط البلاد.

- مقاومة أحمد باي 1830 م – 1848 م بقيادة الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري.

- مقاومة الزعاطشة 1848 م – 1849 م بقيادة الشيخ بوزيان بمنطقة الزعاطشة الأوراس بوسعادة.

- مقاومة الأغواط وتقرت 1852 م – 1854 م بقيادة الشريف محمد بن عبد الله بمنطقة القبائل الصغرى والكبرى.

- مقامة جرجرة 1851 م – 1857 م بقيادة الشريف بوبغلة، الحاج عمر، لالة فاطمة نسومر بمنطقة القبائل الصغرى والكبرى.

---

[1]– محمود باشا محمد: الاستيلاء على أيالة الجزائر أو (ذريعة المروحة) ترجمة: عزيز نعمان، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2005، ص 49–52.

[2]– السعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830–1962) رواد المقاومة الوطنية بالقرن 19، ج01، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2004، ص 15.

- ثورة بني سناسن 1859 م بقيادة الشريف محمد بن عبد الله، الشيخ الحاج ميمون بمنطقة الحدود الغربية (بني سناسن، تلمسان، الغزوات)

- ثورة الشريف بوشوشة 1869 م - 1874 م بقيادة محمد بن التومي المدعو الشريف بوشوشة، بواحات الجنوب (ورقلة، عين صالح، الوادي، تقرت).

- ثورة واحة العمري 1876 م بقيادة الشيخ محمد يحي، الشيخ عايش، بجنوب غرب بسكرة.

- ثورة بوعمامة 1881 م - 1904 م بقيادة الشيخ محمد العربي "بوعمامة" بمنطقة عين الصفراء، البيض، تيارت، سعيدة، عين صالح ...

- انتفاضة التوارق 1946 م - 1923 م بقيادة الشيخ عبد السلام، الشيخ أحمد سلطان، خليفة بن عسكر، في الصحراء (الهقار، تاغيت، جانيت...)[1].

وأثناء هذه الثورات ازداد اصرار القادة الفرنسيون على انتهاج كل أنواع القهر والابادة والتدمير دون مراعاة أي وازع ديني أو انساني أو حتى حضاري[2].

ب- الفترة الثانية 1919 م - 1954 م: تتمثل في ظهور المقاومة السياسية المنظمة وتبلور اتجاهاتها، وقد عرفت تطورا تمثل في الحركة الوطنية بتشكيلاتها الحزبية المختلفة[3].

وهذه هي بداية المقاومة السياسية باختصار، اذ لم يكن للرجال حيلة إلا وسيلة القلم واللسان ومثل هذا المسار السياسي النخبة الجزائرية وتعتبر بداية لظهور الأحزاب السياسية وأول حركاتها: حركة الأمير خالد (1919 - 1925 م)، جمعية العلماء المسلمين (5 ماي 1931 م)، نجم شمال افريقيا 1927 م، المؤتمر الاسلامي (7 جوان 1936 م)، حزب الشعب الجزائري (11 مارس 1937 م)[4]، اضافة لتأسيس جامعة الزوايا والطرق الصوفية وحسب اسمها فهي منظمة تجمع كل الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا لمناقشة أمور المجتمع الجزائري

---

[1]- بورنان: المرجع السابق، ص 16-17.

[2]- يحيى بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. س، ص 05.

[3]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 81.

[4]- صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م-1962 م)، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2002، ص 234-245.

ولأجل تدارك السياسة القمعية التي تتبعها فرنسا، والشيخ مصطفى القاسمي شيخ زاوية الهامل يعتبر أحد مؤسسي هذه الجامعة.

2- الظروف الاقتصادية:

شرعت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ الوهلة الأولى لدخولها أرض الجزائر في الاستلاء على خيرات البلاد ونهبها، مستعملة في ذلك كل الأساليب والطرق.

ولم تكن معاهد السلام في 5 جويلة 1930 م بين الكونت دي بورمون " de bourmont" قائد جيوش الاحتلال الفرنسي وحاكم الجزائر "الداي حسين" الا اخضاع الضعيف للقوي والمغلوب للغالب. وعل الرغم من أن البند الخامس منها ينص على عدم المساس بالدين الاسلامي ولا المساس بأملاك الشعب الجزائري، ولا تجارتهم ولا صناعتهم، إلا أن الممتلكات العامة والخاصة تعرضت للسطو والنهب، فقد ركزت اهتمامها في البداية على المورد الأساسي الذي يعتمد عليه الشعب الجزائري في تامين غذائه، وهو الأراضي الفلاحية، حيث لم يكن للعربي حرفة غير الفلاحة[1].

فقد تم اصدار يوم 21 سبتمبر 1830 م قرار يبرر عمليات احتجاز الأراضي سواء كان الأمر متعلقا بأملاك الحبوس أو بأملاك البايلك أو بأملاك الخواص، لكي تتصرف فيها بحرية وتضعها بأيدي المعمرين[2]، هذا ما تمتاز به منطقة الهامل، إلا أن السلطات الإستعمارية عند دخولها المنطقة قامت ببناء منازل للمعمرين ولم تستطع الاستيلاء لا على الأراضي ولا على المنازل لأنها كانت متخوفة من انتفاضة أهل المنطقة فكلهم كانوا من الاخوان ولم تسعى للمساس بأملاكهم، ولعلى سكان المنطقة كانوا محايدين لفكرة المقاومة ربما لعددهم القليل

[1]- عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط01، 1985، ص 99.

[2]- محمود باشا محمد: المرجع السابق، ص 102.

بالمنطقة ولعلى تخوف السلطات الفرنسية منهم كونهم تابعين لأكبر طريقة صوفية انتشارا، فالطريقة الرحمانية لها أتباع في كل مكان مع نفوذهم الواسع[1].

ولزاوية الهامل أوقاف عديدة، على الرغم من أنها كانت أملاك عامة الا أنها كانت على أنواع متعددة أولها أوقاف مكة والمدينة، ثانيها أوقاف المساجد الجوامع، ثالثها أوقاف الزوايا والأضرحة، رابعها الأوقاف الأندلس ثم أوقاف الأشراف والإنكشارية وأخيرا أوقاف الطرق العامة يضاف اليها أوقاف العيون (عيون المياه)[2]، وهي منتشرة داخل وخارج بلدة الهامل وكان يقام لها جرد سنوي من طرف شيوخ الزاوية، لكن معظمها لم توثق خاصة الموجودة خارج البلدة مما سهل عملية الحجز عليه بعد صدور أوامر تخول للحاكم العام التصرف في الأملاك الدينية بالتأجير أو الكراء وبهذه الأوامر تم تأميم الممتلكات العامة التي أصبحت تحت تصرف المعمرين[3] الذي بلغ عددهم على مستوى الجزائر عام 1832 م إلى 250 ألف معمر، وما بين 1841 و1850 م من 27204 شخص إلى 112607 شخص، وعام 1876 م أصبح 344 ألف ثم عام 1911 م وصل إلى 752 ألف من الفرنسيين و189 ألفا من باقي الأوروبيين. ولحد الآن تبحث زاوية الهامل على أوقافها التي معظمها أصبحت أملاكا خاصة وتم توثيقها منذ عهد فرنسا والتي قامت ببيعها وبعضها الآخر تطالب باسترجاعه المحاكم[4].

3- الظروف الاجتماعية:

اتجهت السياسة الفرنسية إلى احداث تغييات جذرية وعميقة في البنية الإجتماعية والسياسية والإقتصادية للمجتمع الجزائري، قصد تدمير روح المقاومة، التي يتمتع بها المجتمع الجزائري، وهذا لايتم حسب منظور هذه السلطات دون القضاء على كل ماله علاقة مباشرة بمعتقدات الأهالي وأنظمتهم الحضارية التي توارثوها، وبهذه الطريقة تستكمل عملية الهدم

[1]- عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 100.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج01، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 132.

[3]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج04، دار الأمة، الجزائر، 2009، ص 124.

[4]- فرحات عباس: ليل الاستعمار، تع: عبد العزيز بوباكير، دار القصبة، الجزائر، 2005، ص 95.

والتدمير لجميع مقومات المجتمع الجزائري فيستسلم للأمر الواقع الذي تفرضه سلطات الاحتلال مما يسهل عملية تجنيده[1]، وقد سعت سلطات الاحتلال لتفكيك المجتمع الجزائري من خلال محاولة القضاء على الدين الاسلامي، فقد أدركت أن القوة والسيطرة التامة تأتي من قوة الإيمان فاعتبرت الدين الاسلامي العدو الاول للمسيحية، كما تيقنت أن المقاومة الجزائرية تستمد قوتها من تغلغل الاسلام في نفوس المجاهدين والثوار، فسعت بشتى الوسائل والطرق إلى محاربته والقضاء عليه عن طريق الاستيلاء على المساجد والزوايا والسيطرة على كل المؤسسات الدينية[2] وتدنيسها نذكر بعضا منها:

* المسجد الذي شيده حسين باشا حول لمرقد لجنود الفرنسيين عام 1830 م.

* ضريح سيدي عيسى المبنى عام 1682 م والذي حول إلى ثكنة ليتم استبدالها في 1875 م ببناية الجمارك.

* مقام سيدي عبد القادر الجيلاني اختفى عام 1866 م، تحت تأثير أشغال البناء الموجهة لإنشاء شارع في ذات المكان.

* زاوية كتشاوة الواقعة في شارع ليزار، وقد شيدها عام 1786 م الحاج محمد خوجة المكتاجي فدمرت سنة 1835 م[3].

وقد تم اغلاق العديد من الزوايا وهدمها بدعوى أنها أصبحت مصدر للتمرد على السلطة والقانون، مثل زاوية الصادق بالحاج الأوراسي، زاوية الشيخ عبد الرحمان الأزهري بآيت اسماعيل، زاوية ابن حداد، وأحكمت سيطرتها على الزوايا والكتاتيب ومن يسيرها حتى لا تبقى مركز اشعاع وجمع شمل الأمة وتوجيه لها، فوضعت قوانين لاتسمح بفتح زوايا أو كتاتيب ومدارس الا عند حصولها على رخصة بشرط التعليم دون فهم أو توضيح[4].

---

[1]- عبد الحميد زوزو: ثورة الأوراس 1875، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط01، 1985، ص 09.

[2]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 86.

[3]- محمود باشا محمد: المرجع السابق، 85-86.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954، ج03، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 143.

ولم يسلم حتى علماء الدين، حيث تم التضييق عليهم ووضعهم تحت المراقبة الشديدة ويشرح ديبون وكوبولاني: "أن كل الاجراءات التي اتخذناها ليست بكافية اذ يستوجب القضاء فعليا على هيمنة الطرق الصوفية على عامة المسلمين وتحويل المجتمع وغزوه فكريا".

وقد قلنا سابقا أن السلطات الفرنسية كانت تتفادى أي اتصال مباشر قد يسيء لسكان المنطقة ويؤدي للثورة عليهم فتجنبت تهديم الزاوية رغم قدرتها على ذلك، ونحن سنبقى متحفظين على هذا الموضوع لوجود وثائق سرية لم ترى النور لحد الساعة، اضافة لإحتمال وجود علاقات طيبة مع السلطات الفرنسية ويبقى هذا مجرد رأي ان لم تتوفر الدلائل، وبالنسبة لسياسة التنصير فلم تستطع التأثير في سكان المنطقة وذلك لتمسكهم الشديد بالدين الاسلامي رغم كون العمل على معارضة رجال الزوايا ومحاولة القضاء على مشروعهم هو ارضاء بانتصار التبشير فموقف رجال الزوايا يزاحم دعاة التبشير[1]. فاستغلت فرنسا المجاعة التي أصابت الجزائر خلال سنوات 1843 م – 1844 م، إلا أن سكان بلدة الهامل كتنوا سباقين لتدارك الأمر فأسسوا مخازن لحفظ ماتيسر لهم من المؤونة.

كما عمدت إلى حفر المطامير التي توري فيها الحبوب، القمح ... من أعين فرنسا حتى أنها كانت عندما تحصل على قطعة سلاح كانت تخبئها وسط هذه الحبوب، فاستطاعت أن تسلم من المجاعة، واتبعت فرنسا أسلوبا آخر للقضاء على شباب المنطقة أو ابعادهم من خلال قرار التجنيد، خلال الحرب العالمية الأولى استطاعت أن تجند شباب منطقة الهامل رغم عددهم القليل ودون معرضة لأنها أعطت وعودا بتقديم الاستقلال للجزائر فتدخل الأمير خالد كواسطة لتسهيل العملية، لكن خلال الحرب العالمية الثانية كان التجنيد اجباريا، عندما بدأت بوادر المقاومة تظهر خاصة مع المقاومات الشعبية[2].

---

[1]– محمد الصالح آيت علجت: صحف التصوف الجزائرية (1338–1373هـ/1920–1955)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص 95.

[2]– عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 90–91.

4- الظروف الثقافية:

قال أحد المفكرين المعاصرين مصورا حالة الأمة العربية في صراعها الطويل ضد الاحتلال: "نادرة هي تلك الحالات التي تشبه حال الأمة العربية في صراعها الطويل والحضاري والدائم مع التحديات التي فرضت عليها، وأندر من ذلك وجود حالة خرجت فيها أمة أخرى غير هذه الأمة من مثل صراعها مع تلك التحديات دون أن تفنى أو تمسخ هويتها الحضارية وتنطمس معالمها الثقافية القومية، فتصبح امتدادا هامشيا لأعدائها الذين فرضوا ما فرضوا عليها من التحديات".

قال الأستاذ علال الفاسي: "إن وصول فرنسا إلى الجزائر أحدث بلبلة عميقة في عالم المفكرين والأدباء، لقد ترك أغلب العلماء كراسي تدريسهم وتفوق التلامذة ... وقد وضعت ادارة المساجد والمدارس في أيدي الطامعين يحولون مصارف الأوقاف لجيوبهم، ومنذ ذلك الوقت أهملت المدارس تقريبا[1]، بمعنى أن النظام الاسلامي العلمي في المدارس والمساجد لم يبقى صحيحا انما حدثت فيه تغييرات خاصة في البرامج التعليمية ولم تكتفي بهذا فحسب، بل عمدت إلى تدمير معالم الثقافة والفكر فيها وعملوا على تحطيم مقومات الأمة معتمدين في ذلك على: تحطيم الأوقاف الاسلامية التي كانت مصدرا للتعليم في الجزائر، حرصها الشديد على بناء مدارس لتعليم اللغة الفرنسية وسعيها للقضاء على اللغة العربية ومعالمها الحضارية.

ففي حوالي سنة 1930 م قامت فرنسا ببناء مدرسة ببلدة الهامل تدرس اللغة الفرنسية ووضعت بها معلما للغة العربية وجعلت التعليم اجباريا بها، فلم تستطع المدرسة تحمل عدد الطلاب فقررت ان تجعل فرعا لها بالزاوية وكان الغرض منه التجسس ومعرفة الأمور الحاصلة داخل الزاوية ويكون لها علم بمن يدخلها ويخرج منها، وكانت تفرض على التعليم العربي الحفظ دون الفهم.

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 92.

إن التأمل في هذه الأوضاع التي كانت سائدة منذ بداية الاحتلال الفرنسي وتقدمه نحو مناطق الجنوب الجزائري نجد أنها كانت بطريقة غير مباشرة محفزة للاهالي من خلال ظهور مقاومات مختلفة مسلحة وسلمية عن طريق تأسيس أحزاب وبناء كتاتيب وزوايا كثيرة لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، محاولة التقليل من نسبة الأمية، ويمكن أن نعتبر أقصى درجة تدهور لأوضاع الجزائر، منعرجا حاسما للإنطلاقة من جديد والعمل على أساس ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة فتجند الرجال في صفوف الجيش الجزائري وحملوا السلاح لمقاومة فرنسا فكان منهم رجال الدين الاسلامي نذكر على سبيل المثال محمد بن أبي القاسم الذي قرر الانظمام لجيش الأمير عبد القادر لكنه رأى فيه رجل علم ودين ونصحه بنشر رسالة العلم وتحفيظ القرآن وتفسيره فعاد هذا الشاب إلى بلدة الهامل عازما على نشر رسالته وتأسيس زاويته الرحمانية.

الفصل الأول: التعريف بزاوية الهامل تأسيسها ونظامها وموقف الاحتلال منها

المبحث الأول: التعريف بالمؤسس

المبحث الثاني: تأسيس الزاوية وأهم مراحل تطورها

المبحث الثالث: موقف الاحتلال الفرنسي من تأسيس الزاوية

الفصل الأول: التعريف بزاوية الهامل تأسيسها ونظامها وموقف الاحتلال منها

المبحث الأول: التعريف بالمؤسس

إن الحديث عن شخصية محمد بن أبي القاسم يتطلب لنا الإلمام بمختلف جوانب هذه الشخصية الروحية والعلمية المتميزة، حيث سنحاول إلقاء الضوء على أبرز محطات حياة الرجل العلمية والروحية ومختلف مراحل حياته التي امتدت لأكثر من 70 عاما قضى منها أكثر من 50 سنة في الدعوة إلى الله واصلاح أوضاع مجتمعه[1].

نسبـــه:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيح بن محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن منصور بن عبد الرحيم بن أيوب بن عبد الرحيم بن علي بن رباح بن أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الكريم بن موسى بن عبد الرحيم بن عبد الله بن أبو زيد بن علي بن مهدي بن صفوان بن موسى بن سليمان بن يسار بن سليمان بن موسى بن عيسى بن محمد بن عيسى بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن السيدة فاطمة بنت رسول الله صل الله عليه وسلم[2].

مولـــده:

ولد الشيخ محمد بن أبي القاسم في أول محرم سنة 1240 هـ الموافق لـ 26 جويلية 1824 م، ببادية الحامدية قرب بلدتي دار الشيوخ وحاسي بحبح بولاية الجلفة[3] وهو أمر لم يقع حوله اختلاف بل على العكس المكان لا يزال معروفا لدى الخاصة والعامة، ومحاط بمجموعة من الحجارة، وهو من المقامات المبجلة لدى سكان المنطقة (الملحق 02).

وصادف وقت ميلاده اجتماع ثمانية من الصالحين عند والده الشيخ سيدي أبو القاسم، خمسة من الأشراف وثلاثة من فريق أولاد سي محمد من أولاد نايل، وفي اليوم السابع تحاوروا

---

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 95.

[2]- نفسه، ص 102-103.

[3]- منير القاسمي: المرجع السابق، ص 24-25.

في اسمه فتكلم جده السيد ربيح وقال: "أما الاسم فأنا أسميه باسم والدي سيدي محمد بن عبد الرحيم أما الدعاء فعليكم فوافقوه على الاسم ودعوا له بخير"[1].

طلبه العلم:

تربى الشيخ محمد بن أبي القاسم في أجواء دينية صوفية وحب العلم والفروسية، اذ أن والده هو الشيخ أبو القاسم من علماء المنطقة وفقهائها، وأمه الولية الصالحة السيدة "عائشة بن مازوز". ونشأ على محبة العلم منذ نعومة أظافره، ولما بلغ سن التعلم وكعادة السادة أشراف الهامل، أرسله والده إلى الكتاب، وشرع في حفظ القرآن الكريم بقريه آبائه الهامل، اذ يبدو أن أسرته قد استقرت بها لتوفر لابنها محمد نوعا من الاستقرار في حفظ القرآن وطلب العلم وكان ذلك في السنة التي دخل فيها الاحتلال الفرنسي الجزائر.

وقد أتم حفظه للقرآن على يد ابن عم له يدعى محمد بن عبد القدر المعروف بـ "كريرش"، وذلك قبل أن يتجاوز الثالثة عشر من عمره[2].

وفي سنة 1253 هـ - 1837 م وعند مرور الأمير عبد القادر بمنطقة بوسعادة اجتمع به أعيان المنطقة ومنهم: الشيخ أبو القاسم والد المؤسس رفقة ابنه وبايعوه على الخلافة، وهي البيعة التي ذكر الشيخ أنه لن ينزعها من عنقه ماحيي.

وفي السنة نفسها انتقل بتوجيه من شيخه محمد بن عبد القادر الهاملي، إلى زاوية سيدي "علي الطيار"[3]، بمنطقة البيبان رفقة أخيه سيدي الحاج محمد لمواصلة طلب العلم، فأتقن

---

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 111.

[2]- محمد علي دبوز: نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج01، ط01، المطبعة التعاونية، 1965، ص 55.

[3]- زاوية سيدي علي الطيار: تقع في قرية تازروت بلدية القصور ولاية برج بوعريريج، لا نعلم عنها الشيء الكثير للأسف الشديد بالرغم من محاولاتنا العديدة البحث عن تاريخها في المصادر والمراجع المتوفرة لدينا، هناك بعض المعلومات التي وردت في كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) للشيخ الحفناوي وكتاب (الرحلة الورثلانية) للشيخ الحسين الورثلاني، تتحدث عن بعض أبناء سيدي علي الطيار لكن في سياق الحديث عن الشيخ محمد بن ناصر المنصوري والشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي مؤسس زاوية الهامل والشيخ محمد المسعود بن سيدي محمد الحاج ... كذلك يتحدث الشيخ الحفناوي في ج291/02 عن سيدي علي الطيار لكن بإيجاز كبير، ويعرف سكان قرية تازروت بـ"أولاد سيدي علي الطيار".

القراءات السبع وفن التجويد على يد أحد شيوخ الزاوية المسمى "سي الصادق" أقام هناك سنتين ثم عاد بعدها إلى بلده الهامل، وتولى تدريس القرآن الكريم بمساجد القرية [1].

وفي سنة 1260 هـ - 1844 م نزل بزاوية الشيخ البركة والعناية المتفنن الراسخ في علوم شتى سيدي أحمد بن أبي داود بزواوة عموما، عرش بلولة خصوصا، في قرية تاسلنت بزاويته المشهورة المعلومة، فأقام بالزاوية المذكورة خمس سنين لتعلم الفقه والنحو وعلم الكلام والفرائض والمنطق وغيره وبرز في ذلك[2].

تدريسه العلم:

استقر الشيخ محمد بعد دعوته من بلاد القبائل بموطن أجداده الهامل ثماني سنين لتعليم الناس الفقه وغيره بزاوية القرية المعلومة المسمى الجامع الفوقاني، ولم يفارق الجامع ليلا ولا نهارا إلى تمام سنة 1272 هـ.

وأول ما ابتدأ به التفسير "التفسير الواحدي"، وفي الحديث "ابن أبي جمرة"، وهي من الكتب التي كانت متداولة بكثرة في تلك الفترة وأيضا لأنها كانت من محتويات خزانة جده فتبركا بدأبها.

عرفت دروسه شهرة وذكرا طيبين في المناطق المجاورة، فتوافد على القرية الكثير من سكان البوادي والقرى المجاورة، وعرفت حركة نشطة لم تعرفها من قبل، لسماع دروس الوعظ والارشاد وسارعوا بأبنائهم إلى طلب العلم والمعرفة، فحصل بذلك نفع كبير، وأصبحت بلدة الهامل به زاهرة يانعة، وانهالت الخلق من كل جهة لطلب العلم[3].

وفاتـــه:

كان في طريق عودته من الجزائر، أين جاءه جواب من عند تلامذته في "بويرة السحاري" جنوبي مدينة المدية، يخبرونه بحدوث هرج ومرج بينهم واستدعوه للقدوم عليهم ليجري

---

[1]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 22.

[2]- الشيخ محمد بن محمد القاسمي: الزهر الباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية، تونس، ط01، 1308هـ، ص 20.

[3]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 120-121.

الصلح بينهم كما هي عادته في الصلح بين الناس، فلبى دعوتهم وأجرى الصلح بينهم، وتوفي بعد ذلك عندهم على الساعة الثانية زوالا من يوم الأربعاء أول محرم الحرام 1315 هـ - 02 جوان 1897 م عن عمر يناهز 73 سنة.

واشتهر على ألسنة الناس آنذاك أنه مات مسموما، وهو أمر لا نستبعده بالنظر إلى الأوامر التي جاءت من السلطات العسكرية بوجوب اخراج الرجل من الجزائر العاصمة لما أصبح يشكل خطرا على الأمن والاستقرار في المدينة بسبب كثرة الاخوان والمريدين، طلبت اخراجه وحددت أماكن اقامته في المدن التي ينزل بها ومدة إقامته، ولم تراع في ذلك كبر سنه ولا تدهور صحته.

دفن صباح يوم الخميس 02 محرم الحرام على الساعة العاشرة صباحا، وتولى الصلاة عليه ابن أخيه الشيخ سيدي محمد بن الحاج محمد، وجعفر جنازته جم غفير من العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار من أعيان البلدة وأفاضل الأمصار[1].

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، 135-136.

المبحث الثاني: تأسيس الزاوية وأهم مراحل تطورها

أولا: دواعي تأسيس الزاوية القاسمية:

لم يكن تأسيس زاوية الهامل ضربا من الصدفة ولا محاولة من الشيخ المؤسس لزيادة زاوية إلى عدد الزوايا التي كانت منتشرة في ربوع الجزائر آنذاك ولكنه كان استجابة لعوامل تاريخية واجتماعية أملت على المؤسس أن يقوم بتشييد زاوية يصفها هو "بأنها زاوية للطلبة والإخوان والأرامل والأيتام والمرضى والعميان"[1].

ويمكن أن نجمع هذه العوامل فيما يلي:

1- شخصية الشيخ محمد بن أبي القاسم: رجل يمتلك الميزات الفكرية والنفسية والأخلاقية، وبهذا الطموح وسعة الصدر وبعد النظر ورغبته الشديدة والأكيدة في خدمة هذا المجتمع، ولا ننسى انتمائه لآل البيت والفترة فترة احتلال وظلم وقهر وسيطرة، والمتنفس الوحيد هو إنشاء زاوية للتعليم والتربية، وقد شهد القرن 19 م نهضة كبيرة للطرق الصوفية وحركة عظيمة في إنشاء المراكز العلمية والزوايا[2].

2- رغبة سكان الهامل في تأسيس مقام جديد: إن الذين أقاموا بقرب الهامل لأول مرة كانوا من أشراف سيدي بوزيد، مثلما تذهب إلى ذلك جل الروايات، وقد عرفوا بالعلم والتربية، وهو الدور الذي قام به الجد الأول عبد الرحيم بادئ الأمر في المسجد المسمى اليوم مسجد الحجاج، والذي أسس احتفاء بهم وتخليدا لذكراهم وتذكيرا بما صاحب ذلك من الكرامات[3]، التي تحفل بها الروايات الشفهية ويحرص سكان الهامل على ترديدها وتلقينها للأجيال. وبذلك كان تأسيس الشيخ محمد بن أبي القاسم للزاوية – في الحقيقة – إعادة تأسيس وبعث لما بدأه الأجداد.

---

[1]- تعريف الشيخ نفسه، من مخطوطات الزاوية.

[2]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 161.

[3]- منير القاسمي: المرجع السابق، ص 25.

بدأ الشيخ التمهيد لمشروعه الحضاري بإلقاء دروس في الفقه والتفسير والنحو والبلاغة في المسجد العتيق 1849 م[1]، بالإضافة إلى دروس الوعظ والإرشاد مع شروعه في بناء زاويته في العام نفسه، والتي قضى بها ما بقي من عمره، معلما ومربيا وموجها، ومصلحا اجتماعيا.

3- رد فعل على السياسة الاستعمارية التي باشرها المحتل الفرنسي: فبمجرد أن وطدت فرنسا قدمها في الجزائر، بدأت في تطبيق سياسة قهر المجتمع الجزائري وتفويض دعائمه، والقضاء التام على التعليم والثقافة واللغة العربية وبالتالي على شخصيته الوطنية لم يتوان في هذه المؤسسات الثقافية والتنكيل برجالها[2].

من بين خطوات السلطات الفرنسية في محاولة القضاء وبكل شدة على التعليم العربي جاء في تقرير موجه إلى نابليون الثالث كتبه الجنرال ديكرو[3] (DUCROT) عام 1864 م "يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا... ومغزى هذا الكلام هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا، وأراد الشيخ المؤسس الرد عمليا وبقوة على هذه الإجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال، وهذه المحاولات العنيفة للقضاء على التعليم في المجتمع الجزائري[4].

4- أمر الشيخ المختار بن خليفة الجلالي: من مشايخ الطرق الصوفية على مر التاريخ الإسلامي، خاصة في بلاد المغرب يختارون من بين تلامذتهم وأشياعهم ومريديهم من يرونه أقدر على حمل رسالة الطريقة، والحفاظ عليها. وهو الأمر نفسه الذي حدث مع الشيخ محمد بن أبي القاسم إذ كان شيخه الشيخ المختار بن خليفة الجلالي يرى فيه من قوة الشخصية ونفاذ البصيرة، ما يؤهله ليكون خليفة على الزاوية الموجودة بأولاد جلال، فأوصى له بذلك إذ لم

---

[1]- الشيخ محمد بن محمد القاسمي: المرجع السابق، ص 25.

[2]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 24.

[3]- الجنرال ديكرو: 1817-1882 أوغست ألكسندر ديكرو، جنرال فرنسي، شارك في احتلال الجزائر، شارك في الحرب الفرنسية البروسية 1870، توفي عام 1882 م بفرنسا: أنظر الموسوعة الحرة WWW.FR.WIKIPIDIA.ORO.

[4]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 163.

يرغب أبناء بلدة أولاد جلال في بقائه بين ظهرانيهم، حيث اضطر الشيخ أبي القاسم إلى مغادرة المكان والعودة إلى قريته وتأسيس زاويته بها[1].

ثانيا: تأسيس الزاوية وموقعها الجغرافي:

أسس الشيخ محمد بن أبي القاسم زاوية الهامل سنة 1863 م، وأقبل الناس عليها من جميع جهات الوطن، فأدت دورا هاما في الحفاظ على الهوية والشخصية العربية الإسلامية في الجزائر، أثناء الاحتلال وبعده واشتهرت بمستوى تعليمي عالي يضاهي الزيتونة والقرويين، وفكرة تأسيس الزاوية والمعهد القاسمي أملاها الأمير عبد القادر على المؤسس الذي طلب الالتحاق بجيشه كجندي متطوع، لكن الأمير وجهه إلى التفرغ للجهاد بالعلم والعمل وتهيئة الأجيال[2].

بعد عودة الشيخ محمد بن أبي القاسم من زاوية ولاد جلال 1862 م، حاملا معه فكرة تأسيس الزاوية ناقلا مشيخة الزاوية والطريقة إلى الهامل بعد المضايقات التي تعرض لها من قبل بعض مؤيدي الشيخ المختار[3].

ويظهر من خلال رسالة الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى أستاذه الشيخ المختار الجلالي إذ جاء فيها ما يلي: "رأيت الآن المصطفى صل الله عليه، والخضر عليه السلام والأستاذ إمام الوقت المختار بن عبد الرحمان وشيخه سيدي محمد بن عزوز وسيد الطائفة الإمام الجنيد وشيخ مشايخه سيدي الحسن البصري فوقفنا جميعا بالمكان المذكور وعند ذلك قال الشيخ سيدي الحسن البصري للإمام الجنيد خط أربعين خطوة من كل ناحية فخطها الإمام الجنيد كما أمره السيد البصري، ثم قالوا لي بأجمعهم ابن هنا دارا"[4].

---

[1]- Octave depont-Xaver coplani-les confrives relieseuses-musulmanes, adolnle sardan, Alger 1897, P 407.

[2]– محمد بن المختار العلواني: المرجع السابق، ص 11.

[3]– مقابلة مع المقدم سمير بتاريخ: 2017/11/08.

[4]– عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 165.

وتتربع الزاوية في سفح جبل عمران بقرية الهامل، بعيدا نسبيا عن مكان الكرامة التي وقعت، ظهور شجرتي التوت، وأساس المسجد، وعن مركز القرية القديم حجاج الهامل. وكانت الجهة غير آهلة بالسكان، ويفضي مدخل الزاوية إلى باحة مكشوفة تحف بها أبنية من جهاتها الثلاث الجنوبية والغربية والشمالية... والزاوية ذات بناء من الحجر والطوب وجذوع النخيل[1].

واختيار مكان الزاوية الحالي جاء نتيجة عاملين أو ثلاثة:

أ- الرؤيا التي كان يراها الشيخ المؤسس يقضة ومرارا، حيث جاء في مراسلته للشيخ المختار ما يلي: "اعلم سيدي أن في بلدنا أعني قرية الهامل مكانا كلما رأيته رأيت فيه بنيانا عظيما به أذكار وتلاوة وفقه ونحو وتفسير وحديث وسائر أنواع الطاعات من صلاة وصوم وقيام وغير ذلك".

ب- ضيق المكان بـ "الدشرة" أو قلب القرية القديمة.

ج- بعد المكان عن القرية، والقصد من ذلك توفير ما أمكن من الجو المناسب لطلبة العلم بإبعادهم عن ضوضاء القرية[2].

بنى الشيخ في البداية منزلا للسكن، وبنى في جنبه من جهة الشرق حوشا يجلس فيه لإرشاد الخلق وتصريف أحوالهم، وتأكل فيه الطلبة والإخوان، وبيتا يطبخون بها التلامذة الطعام تسمى "النوالة" وعمل بلصق الجميع من كل جهة نحو خمسين مسكنا للمصالح الوقتية، واستكملت باقي المرافق لاحقا.

[1]- مقابلة مع شيخ الزاوية، المأمون القاسمي، بتاريخ: 2017/11/07.

[2]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 166-167.

ومن أبرزها المسجد الحالي، الذي لم يكتمل به البناء إلا في عهد ابنته "لالة زينب"* (الملحق 03)، كما عرفت الزاوية بعض التوسعات خاصة في مرافق الاستقبال حسب ما كانت تقتضيه حاجياتها وتبعا لتوفر الإمكانيات، واستغرقت عملية البناء سنة واحدة، من سنة 1862م إلى 1863 م. وتم تدشينها أول محرم الحرام[1].

ثالثا: مراحل تطور الزاوية:

1- بناء المسجد: يعتبر المسجد أبرز هياكل الزوايا في المغرب الإسلامي عامة، وهو العنصر الأساسي في الزاوية ومحور نشاطها الداخلي، والمركز الذي يجتمع فيه كل المقيمين بها أثناء أداء الصلوات الخمس، كما يستغل في إعطاء دروس تعليمية، للطلبة ودروس الوعظ والإرشاد وهو يتوسط الزاوية، لما يحتله من أهمية كبرى في حياتها الروحية والدينية والعلمية.

بدأ الشيخ المؤسس ببناء مرافق الزاوية الأخرى من مساكن للطلبة وغرف للتدريس قبل الشروع في بناء المسجد[2]، وبالتالي فهو لم يرد أن يضيف إلى مساجد القرية آنذاك مسجدا آخر، بقدر ما كان يشيد جامعة للعلم والمعرفة، اضافة إلى أنه لو أراد أن يؤسس زاوية لاستضافة المؤسسين ومساعدة المحتاجين وايواء الأيتام والمساكين لكان المنزل الذي شيده لعائلته كافيا لذلك.

والأمر الآخر هو أن الشيخ لم ينقطع عن الدروس العلمية في المسجد العتيق، مع استعجاله ببناء الزاوية مما يدل على أن هم التربية والتعليم لازمه منذ كان شابا يطلب العلم، وأنه كان يرى أن تلك الدروس لا ترقى إلى ما كان يصبوا إليه، من تشييد مشروع حضاري يهدف إلى الحفاظ على الشخصية الاسلامية للمجتمع الجزائري.

---

*- لالة زينب: ابنت المؤسس محمد بن أبي القاسم الوحيدة تولت مشيخة الزاوية بعد وفاة أبيها، وواصلت عمل أبيها داعية للدين والتعلم، ناشرة للخير، وأكملت مشاريع العمران في اتمام مسجد أبيها ، توفيت عام 1904 م.

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 167.

[2]- محمد السالم نواري: المدارس القرآنية وآثارها في التعليم المدرسي بمنطقة توات خلال القرن 14هـ، مدرسة الشيخ محمد بلكبير نموذجا، مذكرة ليسانس، قسم اللغة العربية وآدابها واللغات، جامعة الجزائر، 2004/2003، ص 71.

بنى الشيخ بجانب منزل العائلة مسجدا سماه سيدي عبد القادر، نسبة إلى عبد القادر الجلالي البغدادي الولي الصالح، وقد كان الشيخ يصلي فيه الصلوات الخمس، وخاصة مع تلاميذه، يتلى فيه القرآن[1]، بمقدار خمسة أحزاب في كل ليلة، ويدرس به الحديث والنحو والتفسير.

والمتمعن في هذا المسجد يلاحظ أنه سخر للوظيفة التعبدية الصوفية، إذ كان يؤمه خاصة الخاصة من تلاميذ الشيخ الذين تدرجوا في علوم الشريعة، وأصبحوا قادرين ولوج عالم التصوف وفك ألغازه ودراسة كتبه، وبذلك يكون مسجد سيدي عبد القادر قد لعب دور الخلوة التعبدية للشيخ وخاصة من تلاميذه، فكان دليلا آخر على أن المسجد الكبير في الزاوية مسخرا للوظيفة التعليمية التي من أجلها بنيت زاوية الهامل.

أنجز الشيخ محمد بن أبي القاسم مسجد الزاوية المستقل عن بيته في سنة 1864 م، وانتقل إلى التدريس به دون أن يقطع دروسه في المسجد العتيق خاصة في ليالي الشتاء الطويلة التي خصصها الشيخ، ومن قبله أشراف الهامل، لدراسة كتاب في الفقه، ولكن هذا المسجد لم يكن بالمواصفات التي أرادها الشيخ فأعاد بناءه سنة 1891 م – 1309 هـ، غير أن المنية عاجلته، وتكفلت ابنته السيدة زينب ببناءه من حر مالها، وكان تدشينه سنة 1904 م الموافق لـ: 04 شوال 1321 هـ[2].

يعتبر المسجد تحفة فنية من حيث شكله وهندسته التي لا تزال تثير اعجاب كل من زارها، فقد فاقت قبابه بقية القباب الصحراوية عامة ومنطقة بوسعادة خاصة رونقا وجمالا[3].

تميز المسجد بالتنسيق الزخرفي الدقيق وشكل قبابه البهرة وزخرفة محرابه، وكذا بلاطات الزليج التي تكسو جوانب معتبرة من جدرانه التي يغلب عليها الطابع الأوروبي الحديث.

---

[1]– الشيخ محمد بن محمد القاسمي: المرجع السابق، ص 56.

[2]– هذا التاريخ مدون على اللوح التذكاري للمسجد القاسمي بالهامل.

[3]– عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 170.

ونجد المسجد مستقبلا القبلة استقبالا صحيحا، حيث شغل القسم الشمالي الشرقي للقرية على مساحة مقدارها خمسمائة وثلاث عشر مترا مربع من جملة المساحة الاجمالية للزاوية المقدرة بخمسة عشر ألف متر مربع، منها خمسة آلاف وخمسمائة متر مربع مبنية، بينما باقي المساحة الأخرى فهي أراضي موقوفة على الزاوية (الملحق 04).

والمصلى عبارة عن مربع منتظم الأضلاع أبعاده من الداخل 30.17×30.17 م وهو بذلك يشغل مساحة 29,298 م، مشغولة بـ 16 عمود جداري[1].

2- بناء مرافق الزاوية: والزاوية اضافة إلى المسجد تحتوي على مرافق عدة، تعتبر ضرورية بالنسبة إلى المؤسسة بحجمها وهذه المرافق هي:

أ- منزل الشيخ وعائلته: لم يكن الشيخ يغيب عن الزاوية إلا نادرا عندما تقتضي الضرورة ذلك أو لا يكون نوابه قادرون على أن يحلو محله، وهو كعادة مشايخ الصوفية يقضي يومه إما في التربية والتعليم، وإما في استقبال الوافدين على الزاوية، وهو يتصدر لحل المشاكل الاجتماعية، التي كانت تعرض عليه بدل اللجوء إلى القضاء الفرنسي، وهو إلى جانب كل ذلك يقعد للإفتاء فيما يستجد لحياة الناس من حوادث يعجز أئمة بلدانهم على الرد عليها، وبذلك بدأ الشيخ ببناء بيت العائلة لما يوفره من استقرار بالنسبة للمسؤول الأول عن الزاوية[2].

والمنزل كان بالإضافة إلى وظيفة مأوى للعائلة يؤدي وظيفة المخزن للمؤن التي تجلب إلى الزاوية من أجل إطعام من فيها، غير أن هذا المنزل لم يكن خاصا بالشيخ وعائلته، بل قاسمتهم فيه أسر فقيرة لم يكن لها مأوى، زيادة عن أكثر من أربعين فتاة كانت السيدة زينب تقوم على رعايتهن والإنفاق عليهن وهن في أغلبهن ممن تركن من طرف أهلهن على باب الزاوية أيام الكوارث والمجاعات[3].

---

[1]- بن سالم مصطفى: المسجد القاسمي بالهامل، دراسة معمارية، رسالة تخرج من معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999 م، ص 64، 65، 66.

[2]- الشيخ محمد بن محمد القاسمي: المرجع السابق، ص 55.

[3]- Clancy- smith, Julia: A.Rebel and saint, Muslim notable, pupilist protest clolmial encounters, Algeria, and Tunisia, Berkeley University, 1994, P 234.

ب- بيت الضيافة العلي: وهو مخصص لاستقبال الضيوف الواردين إلى الزاوية في مناطق بعيدة ومختلفة، يحتوي على جميع المرافق الضرورية التي توفر لهم كل أسباب الراحة ووسائلها المطلوبة وهو المبنى المعروف الآن بـ "العلي" الواقع على يسار الداخل إلى باحة الزاوية.

وقد كان الشيخ محمد بن أبي القاسم في بداية الأمر يستقبل ضيوفه داخل منزله وبعد أن أصبح منزله غير كاف لاستيعاب الوفود الكبيرة من الضيوف الزوار الأجانب شرع في تشييد هذا المبنى الذي خصصه لهذه المهمة، وقد وصف أحد الكتاب الفرنسيين استقبال السيدة زينب لهم عام 1899 م في هذه البناية التي اعتبرها بمقاييس ذلك الزمن فخمة[1].

ج- بيوت الطلبة: لما كان طلب العلم وخاصة حفظ القرآن يستلزم إقامة دائمة، ولمدة طويلة في الزاوية، فقد قام الشيخ المؤسس ببناء دور للطلبة، فرشت بالحصر والزرابي وبها نافذة صغيرة ومكان للوضوء، ورغم كثرتها إلا أنها لم تستوعب عدد الطلبة المقيمين، وعند ذلك سمح للطلبة ببناء مساكنهم الخاصة مستعملين المواد البنائية من طين وأخشاب، ثم وقفت تلك المساكن على الزاوية لتستقبل طلبة جدد[2]، وقد سميت هذه الأماكن بالعشش وهو جمع عشة، وسميت بذلك لصغر حجمها وعدم ارتقائها إلى منزلة البيوت المعهودة.

د- منازل المريدين: والظاهر أنها للفقراء والمساكين ومن لا مأوى لهم، وقد بلغ تعدادهم حسب صاحب الزهر الباسم المائة[3] بناها الشيخ للطلبة والإخوان في حين جاء في وثيقة حصر تركة للألة زينب أنها "ستة بيوت مخصصة للزوار"[4]، والظاهر أنه - أي الشيخ محمد - أراد هذه الدور وكذا عشش للطبة لأن هذه المنازل كانت تضم أحيانا طلبة العلم الذين لم يستكملوا بناء "عشتهم" كما كانت العشش تستوعب - بالمقابل - مجموع الزائرين للزاوية خاصة في الزيارات.

---

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 174.

[2]- الشيخ محمد بن محمد القاسمي: المرجع السابق، ص 56.

[3]- نفسه، ص 55.

[4]- وثيقة حصر تركة لالة زينب: من مخطوطات الزاوية.

هـ – مطعم الزاوية: اشتملت الزاوية على مطعم كبير، يقع في الناحية الشرقية منها، ويسمى "النوالة" وهي مأخوذة من المناولة والتناول[1]، والمطبخ يقوم بتوفير وجبة الطعام المسماة "العياد" وهو كسكسي من القمح الصلب والمرق، ويقدم اللحم مرة واحدة في الأسبوع وللمطبخ فناء يقوم مقام غرفة الأكل اليوم، وهو حوش يسمى حوش "الكرمة" يقوم على العمل فيه أناس خاصون يقوم الشيخ بتعيينهم ومتابعتهم شخصيا مع حضوره بنفسه أوقات تقديم الوجبات، ويتبع هذا المطبخ مخزن بجواره، تخزن فيه المؤن التي تحمل إلى الزاوية سواء من أراضي الوقف أو تبرعات المحسنين كالزيتون – مثلا – الذي يأتي من بلاد القبائل والتمور التي تأتي من الصحراء، وكان الشيخ يستأجر نسوة لتحضير الكسكسي في قاعة بجانب المطبخ، وهو ما كان يوفر مصدر رزق للكثير من العائلات المحتاجة[2].

وقد جرت العادة أن ينادي القداش – وهو عامل المطعم – للأكل ثلاث مرات ثم يعطي الإشارة للبدء في تناول الطعام، ويعاقب الطلبة على البدء في الأكل قبل الإشارة، ويحرمون من الوجبة عند تأخرهم عند النداء الثالث، أما عمال المطعم فلا يأكلون مع الطلبة بل يأكلون بعدهم داخل المطعم[3].

و– الجناح البيداغوجي: وهي قاعات الدرس التي يستقبل الأساتذة فيها الطلاب، ويحضرونهم للمراحل القادمة من التحصيل وكذلك سميت بالمحضرة[4]، ولازال الاسم متداولا في زوايا المغرب العربي إلى اليوم.

ويتكفل بالتدريس فيها متخصصون في حفظ القرآن، وعلوم الشريعة والعلوم اللغوية وهم من حملة الإجازات في تلك العلوم. والإجازة شهادة تمنح من طرف العلماء كدليل على حفظ الطالب للقرآن الكريم، أو إتقانه لعلم من العلوم وبموجبها يصبح قادرا على أن يتولى مهمة التربية والتعليم.

---

[1]– عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 177

[2]– مقابلة مع الشيخ أبي الأنوار دحية أمين المكتبة، المصدر السابق.

[3]– السفارة (القانون الداخلي)، الملحق 05.

[4]– عبد الهادي حميتو: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، 2006، مقدمة الكتاب.

ي- المكتبة: وتقع على يسار الداخل لزاوية مبنى ما يقال له "العلي"، وهي صرح علمي متوازن أسسه الجد الأول للدشرة الشيخ عبد الرحمان بن سائب، ثم أضيف إليه ما تركه ولد الشيخ أبو القاسم من كتب، فلما وصل إلى الحفيد محمد ازدهر لا سيما بعد تاسيس الزاوية.

كانت المكتبة ابتداء بمنزل الشيخ محمد بن أبي القاسم ثم خصصت لها بناية تعرف "بالعلي" وهي بها إلى اليوم، وتحتوي المكتبة على عدد كبير من المحفوظات حوالي 800 عنوان في نحو ألف ومائتي مجلد[1] ، وإذا نظرنا إلى محتوياتها نجد أنها تضم كتب الفقه المالكي، التفسير الحديث بشكل أكبر ثم تليها الموضوعات الأخرى.

ولم تكن المكتبة تفتح إلا للطلبة النجباء من ابناء الزاوية وكذا العلماء الزائرين وضلت محاطة بعناية الشيخ محمد ابن أبي القاسم الذي كان يرسل في طلب الكتب التي يسمح بوجودها سواء في الجزائر أو خارجها نسخا أو شراء، إذ كان يرسل بعض الطلبة لنسخ الكتب من المكتبات الخاصة التي كانت موجودة آنذاك في الزوايا الأخرى ويدفع مقابل ذلك مالا لأصحابها[2].

وللحفاظ على المكتبة من الضياع أو التشتت، فقد منح الشيخ مفاتيح مكتبته لابنته حين وجد منها استعدادا وشغفا للمطالعة والتحصيل فكانت تقيم بها عاكفة على القراءة والدرس فلما رأى الوالد منها ما رأى حبس أصلها عليها[3].

ك- حي المقارنة: هو حي سكنه أبناء الشيخ المقراني بعد استشهاده، وقد أحسنت الزاوية وفادتهم وعاملتهم بما يستحقون، وكفله بعض أبنائهم مناصب عليا خاصة في حياة الشيخ وكذا في حياة ابنته لالة زينب وقد بلغ عددها العشرين منزلا، أقامت بها أربعون أسرة في الوقت الذي سكنت فيه الأسر الأخرى داخل قرية الهامل اي خارج إطار الزاوية[4].

---

[1]- محمد فؤاد القاسمي: فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية بالهامل، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2006، ص 05.

[2]- مقابلة مع الشيخ أبي الأنوار دحية، أمين المكتبة، بتاريخ: 2017/11/08.

[3]- عاشور خضراوي: اسهامات المرأة الجزائرية في التعليم القرآني، الملتقى الدولي الرابع للقرآن الكريم، وهران، د. ت، ص 11.

[4]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 178.

3- ساحة الزاوية:

وفي الفناء الكبير (المراح) الذي يتوسط الزاوية مكان لها باب يغلق ليلا ويفتح مع صلاة الصبح ويمنع على الطلبة الخروج منه بعد المغرب، ويدفع الطالب المخالف غرامة توضع في صندوق الطلبة[1] ، والساحة وإن لم تكن من مرافق الزاوية إلا أن لها دورا مهما في الحياة اليومية، وقد حرص الشيخ على أن تكون واسعة فهي المكان الذي يتجمع فيه الطلبة بعد الدرس كساحة المدرسة اليوم، وهي بالإضافة إلى ذلك المصلى الذي تصلى فيه صلاة الجنازة على الموتى من أبناء الهامل أو من الذين يوصون بدفنهم في مقبرة الزاوية من أهل القرى المجاورة، وهي المكان الذي تستقبل فيه وفود الزائرين وقوافل الحجيج المتوجهين إلى البيت الحرام.

والدارس لمرافق الزاوية يلاحظ ما يلي:

- أن الزاوية قد احتوت على كل المرافق اللازمة لعملية التربية والتعليم، من داخلية وقاعات للتدريس ومطعم.

- أن الزاوية نموذج استقاء الشيخ من رحلاته العلمية وهي أشبه بزوايا منطقة القبائل، وبالضبط زاوية بن أبي داوود، ولذلك فهي لا تختلف عن غيرها من الزوايا الجزائرية خاصة تلك التي اهتمت بالتربية والتعليم.

- أن الهياكل الموجودة في الزوايا تجعل المقيم بها منقطعا للعلم والعبادة، وذلك بما توفره له من مرافق الايواء والاطعام والدراسة.

- أن اقبال سكان الهامل على إنجاز زاوية بمستوى الزاوية القاسمية من حيث ضخامة البناء والتقنية العالية المستعملة في ذلك وفي مدة وجيزة لم تتجاوز السنة معتمدين على جهدهم الذاتي، يبرز شدة تمسك المجتمع الجزائري بدينه وحاجته الماسة للعلم والمعرفة[2].

---

[1]- انظر: السفارة، القانون الداخلي، الملحق 05.

[2]- وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 79.

المبحث الثالث: موقف الاحتلال الفرنسي من تأسيس الزاوية

وفي ظل الظروف تأسست زاوية الهامل من طرف مؤسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم القاسمي الهاملي، ولكن القراءة التاريخية للظروف التي صاحبت تأسيس الزاوية تستدعي التساؤل على الطريقة التي انتهجها الشيخ المؤسس ليقوم بتأسيس زاوية تعلم القرآن الكريم وتدرس علوم الدين ويجتمع حولها الكثير من الطلبة والمريدين دون أن يصطدم بالقوانين الفرنسية التي تحرم ذلك، واذا كانت التجارب السابقة مع الطريقة الرحمانية تبين مدى مقاومتها للاستعمار وكذا حساسيته منها، فإن السماح يفتح فرع للطريقة في منطقة ظلت آمنة نسبيا يدعوا إلى الكثير من التساؤلات.

والظاهر أن العائلة القاسمية تبوأت مكانة اجتماعية مرموقة وظلت بعيدة عن مواجهة السلطات الفرنسية، وربما رأت هذه الأخيرة – أي السلطات الفرنسية – أن التقرب من العائلات الشريفة قد يساعدها في التحكم في المنطقة ولذلك عرفت للإشراف مكانتهم وهو ما استغله الشيخ محمد لتمرير مشروعه على أساس أنه لا يحمل خطرا على المشروع الاستعماري، اضافة إلى ذلك يبرز الحياد الذي انتهجه الشيخ ازاء الثورات الشعبية في تلك الفترة، ومنها ثورة الشيخ المقراني واختياره للمقاومة الثقافية على حمل السلاح والاصطدام مع السلطات الفرنسية[1]، وكل ذلك قد يفسر السكوت الفرنسي على تأسيس الزاوية.

وتبين الوثائق التاريخية أن هذا السلوك الحيادي للشيخ كان محل رضا من القائد العسكري الضابط كلوشار في بوسعادة، والذي أقام مهرجانا خطابيا أسبوعا بعد موت الشيخ محمد، وأثنى عليه وعلى تعامله مع الدولة الفرنسية[2].

وسواء كان هذا تشويها متعمدا للشيخ وزاويته وهو غير ذلك، فإن الثابت أن الزاوية ظلت تؤدي دورها في تطور ملحوظ، دون أن تتعرض لها السلطات الحاكمة بسوء، وتفيد تقارير

[1]– محمد بن مختار العلواني: المرجع السابق، ص 96.

[2]- Depont Octave et Coppolani Xavier. Les confrérier religieuses musulmanes, publiesous patronage de M, Jules Combon (lipographie et lithographie Adolphe Jourdan, imprimeur Libraire-editeur 4 place du gouvernement 4 Alger,1897, P 407.

الإدارة الفرنسية أنها كانت تراقب الزاوية بعين الريبة وتخشى تحولها إلى المقاومة على غرار زوايا الطرق الرحمانية[1]، ولضمان ذلك ألزمت الشيخ المؤسس بتعيين خليفة له قبل مماته وحاولت اجباره على ذلك، وقد أبدى استجابة أول الأمر ثم عدل عنه وكتب وصيته موثقة، بموجبها أصبحت السيدة زينب أول شيخة لزاوية الهامل، وأول امرأة تتولى هذا المنصب في تاريخ الزاوية واذا علمنا حجم الطلبة الذين التفوا حول المؤسس من أول يوم ما يمكن أن يمثل هذا التجمع من خطر على النظام العام خاصة في ظل طريقة رحمانية عرفت بالجهاد في المستعمر، اتضح لنا أن المكانة الاجتماعية للعائلة القاسمية[2]، وتقرب السلطات الفرنسية منها، وكذا الحياد الذي انتهجه الشيخ اتجاه المقاومات الشعبية، كل ذلك يمكن أن يعتمد أساسا لفهم هذا التغاضي الذي أبدته الادارة الفرنسية اتجاه تأسيس زاوية بحجم زاوية الهامل.

ويرى أبو القاسم سعد الله أن وراء تغاضي فرنسا على النشاط التعليمي لزاوية الهامل وزاوية طولقة هدفا سياسيا، وهو نزع الفتيل من زاوية نفطة التي كانت ملجأ للعلم والسياسة معا، ولذلك خبا إشعاعا بعد احتلال فرنسا لتونس سنة 1881 م[3].

[1]- تقرير السلطات الفرنسية، من وثائق الزاوية، الملحق 06.

[2]- خطاب الباشا مصطفى، الملحق 07.

[3]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج03، ص 217.

الفصل الثاني: الدور الجهادي لزاوية الهامل

المبحث الأول: موقف الزاوية من المقاومات الشعبية

المبحث الثاني: موقف الزاوية من الثورة التحريرية

المبحث الثالث: رد فعل السلطات الفرنسية من نشاط الزاوية

الفصل الثاني: الدور الجهادي لزاوية الهامل

المبحث الأول: موقف الزاوية من المقاومات الشعبية

تبنت الطرق الصوفية والزوايا منذ الوهلة الأولى لدخول الاحتلال إلى أرض الجزائر موقف الجهاد والمقاومة المسلحة، ولم يقتصر دورها على التربية والتعليم والمقاومة الثقافية بل تعداها ليشمل دعم الثورات والانتفاضات الشعبية وتأييدها ومدها بكل ما تحتاجه من مساعدة وهذا ما عملت عليه زاوية الهامل كلما أتيحت لها فرصة للمشاركة لأنها كانت تعرض للرقابة الشديدة.

إن أغلب زعماء الانتفاضات والثورات الشعبية هم من أبناء الزوايا وشيوخ الطرق كالأمير عبد القادر بن محي الدين شيخ الطريقة القادرية وشيوخ الطريقة الرحمانية وأتباعها كالشيخ الحاج عمر، الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، الشيخ ابن الحداد، الشيخ بوعمامة[1] وغيرهم كثيرون، وإن الاحتلال كان على دراية بالنشاط الفاعل لهذه الزاوية، كما يعترف لويس رين "... أن الطرق الصوفية تعيق تقدم الاحتلال بوقوفها ضد السياسة المطبقة بالجزائر ..."[2].

وهذه نماذج من المقاومة الشعبية التي ساهمت فيها زاوية الهامل:

أولا: مقاومة الأمير عبد القادر 1837 م: إن شيخ زاوية الهامل محمد كانت له اتصالات شخصية مع الأمير عبد القادر*، وذلك قبل أن يؤسس زاويته، واستمرت هذه الروابط حتى مع أهله من خلال الرسائل والهدايا من بينها بعض القطع من الأسلحة لم يبق منها سوى قطعتين وصندوق الأسلحة للأمير عبد القادر[3] (الملحق 08)، واستمرت المراسلات حتى بعد نفيه إلى

---

[1]- محمد نسيب: المرجع السابق، ص 160.

[2]- Louis Rinn. Mrabouts et Khouans, Etude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Libraire – editeur, Alger,1884, P 75.

*- هو عبد القادر بن محي الدين الحسني الجزائري اشتهر باسم الأمير عبد القادر ولد يوم الجمعة 23 رجب 1222هـ=1807 م بقرية القيطنة الواقعة على وادي الحمام غربي مدينة معسكر، وترعرع في كنف والديه، حيث حظي بالعناية والرعاية. أنظر: برنو اتبين: الأمير عبد القادر الجزائري، ط02، المؤسسة للاتصال والنشر والاستثمار، الجزائر، 2001، ص 11.

[3]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 281-282.

دمشق وكانت عبارة عن رسائل تحية وسلام أيضا مع الأمير الهاشمي يطلب حماية ابنه والعمل معا ودمج الأفكار والمواقف من أجل دحر الاستعمار الفرنسي. وقد جاء فيها: "... ان الداعي لتحريره رجائي الصالح دعائكم في خلواتكم وجلواتكم لي ولعبديكما قطعتي كبدي ولدي خالد ومصطفى واستقطابي مراحمكم في ملاحظتي ... من عبدكم الهاشمي بن عبد القادر بن محي الدين حرر في 29 ذي الحجة الحرام عام 1310 هـ/1913 م"[1]، وهناك رسالة أخرى من علي بن الأمير عبد القادر للشيخ محمد بن الحاج حول طلب السلاح وجاء فيها: "... وقد وصلتنا الزربية، والوسادة و(كذا) صحبة ابن عمنا السيد ابن حسن فشكرنا همتكم ... وأرغب إن وجدتم سلاح قديم مثل مكحلة سيف، خدمي، بشطولة، أن ترسلوهم على يد ابن عمنا المذكور ..."[2].

على اثر هذه الاتصالات أصبح الشيخ محمد وابن الحاج محمد تحت عيون المخابرات الفرنسية وبالنسبة للشيخ محمد فقد ظل دوما تحت الرقابة، وهناك وثيقة بتاريخ 30 جانفي 1882 م تشير إلى أن الشيخ له تأثير في الشرق الجزائري "سوق أهراس، تبسة، باتنة، بسكرة ..." وله علاقات سرية مع علي بن خليفة اذ كان يعد الثورة في كامل المنطقة[3]. وهذه المساهمة لم تتمثل فقط في شيوخ الزاوية، فقد سارع أبناء الزاوية والمنطقة شبابا وشيوخا إلى الالتفاف حوله والانضواء تحت لوائه، وانضم كثير منهم لجيشه وقدموا له الولاء والطاعة ولخلفائه نذكر منهم البطل محمد بن عودة[4].

ثانيا: مقاومة الزعاطشة 1849 م: في عشية اندلاعها دعا محمد بين شبيرة إلى عقد اجتماع بالهامل حضره ممثلون من جميع الأعراش المجاورة (عرش أولاد نائل، الحوامد، الحملات المراقصة، الشرفة (سكان الهامل)، أولاد ماضي، هل بوسعادة أولاد سيدي ابراهيم)، استضاف شيوخ الزاوية وطلبته وأهالي المنطقة هذا اللقاء وقاموا بدورهم على أحسن حال في تهيئة

[1]- رسالة من الأمير الهاشمي إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم، من وثائق المكتبة القاسمية.

[2]- رسالة من الأمير علي بن عبد القادر إلى الشيخ محمد ابن الحاج محمد، من وثائق المكتبة القاسمية.

[3]- محمد يحي حرزلي: وقفات من تاريخ بوسعادة النضالي، دار الوعي، رويبة- الجزائر، 2012، ص 40.

[4]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 49.

الظروف الملائمة وكل التسهيلات، لجمع المؤونة والسلاح وارسال المتطوعين الشبان إلى الزيبان لدعم ثوار الزعاطشة، وقبل أن يعلن الشريف بن شبيرة الثورة في بوسعادة كان قد مهد لها وحضر لها عند شرفة الهامل بعقد اجتماعات واجراء اتصالات مع الأعراش ووضع الترتيبات والخطط اللازمة لضرب ومهاجمة الفرق العسكرية المتوجهة نحو الزيبان وتعطيل امدادات وتعزيزات العدو لقواته المتواجدة بالزعاطشة.

وهكذا حين أعلن الشريف بن شبيرة ثورته بالهجوم على فرق بوسعادة في 19 أكتوبر 1849 م كان سكان الهامل في مقدمة جيشه وضمن طلائعه الأولى قاتلوا إلى جانب إخوانهم من أبناء الأعراش حتى آخر رمق من بداية الثورة إلى نهايتها، وتصفيفها في حدود 25 نوفمبر 1849 م ودخول المدينة عنوة من طرف القوات المعادية[1].

ثالثا: معركة الكطاريح 1849 م: خلال شهر جوان من عام 1849م تمرد أولاد عمر فرج بقطاع المدية ورفضوا دفع الضريبة بتحدي صارخ في وجه " الجنرال لادميرولت " قائد القطاع آنذاك، وفروا باتجاه اخوانهم في جبل أمساعد جنوب بوسعادة، وأثناء مرورهم بدرمل والهامل استقبلهم الشرفة وقاسموهم محنتهم وقدموا لهم كل التسهيلات للمرور والاختفاء في جبل الزرقاء، كما أخفوا تواجدهم عن الجنرال وقواته التي كانت تطاردهم وتتبع اتجاههم، وقد تطوع شبان من الهامل للانضمام إلى الثوار والمحاربة إلى جانبهم في معركة الكطاريح 12 جوان 1849م، جرت أحداثها في المكان الذي تحمل اسمه (الكطاريح) قرب العليق تحت قيادة البطل "سيدي أحمد البكاي"[2] من فرقة البكاكية من عرش أولاد عمر فرج، فكانت هذه المعركة أول مجابهة مسلحة مع العدو الفرنسي في منطقة بوسعادة، قاوم أولاد عمر أثناءها مقاومة الأبطال وصمدوا حتى النهاية ولم يستسلموا رغم عدم تكافؤ القوى وتمكنوا من الحاق خسائر بشرية في صفوف العدو من بينها سقوط النقيب (قابوريون) قتيلا برصاص الثوار كانت هذه الجولة الأولى تجربة

[1]– محمد يحي حرزلي، المرجع السابق، ص 42.

[2]– د. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج03، ص 310.

للعدو اكتشف أثناءها المنطقة وأهميتها، أما بالنسبة للسكان فقد تعرفوا عن قرب على العدو وأساليبه في المعاملة وتفطنوا إلى أهدافه وأبعاده الاستعمارية[1].

رابعا: معركة درمل 1864 م: جرت أحداثها من 30 سبتمبر إلى 02 أكتوبر 1864م هذه الثورة التي هزت نفوس الفرنسيين لأنها في حالة ان نجحت فإنها ستشغل في كامل الجنوب، وعدد الثوار لم يتجاوز 2000 مقاتل من جميع الأعراش المجاورة وهم كالتالي:

- أولاد عامر وأولاد سيدي إبراهيم 600 مقاتل.
- أولاد ماضي، الحملات الحوامد 300 مقاتل.
- أولاد عيسى، أولاد لمبارك، أولاد عزوز 200 مقاتل.
- أولاد علي بن محمد، أولاد فرج 150 مقاتل.
- شرفة الهامل 60 مقاتل.

إلى جانب الأعراش الواقعة جنوب الدائرة مثل (أولاد خالد أولاد سليمان أولاد سيدي زيان، أولاد أحمد، المراقصة وكذا أهل بوسعادة) وبعض المتطوعين من أولاد رحمة وأولاد رابح والتي لم نعثر على عدد المشاركين منها.

أما من قطاع الجزائر فنسجل مشاركة "الأعراش التالية":

- السلامات 300 مقاتل.
- أولاد سيدي عيسى 40 مقاتل.
- أولاد عبد الله 50 مقاتل.
- أولاد علي بن داود 50 مقاتل.
- أولاد سيدي هجرس 18 خيمة[2].

[1]- نسمة قديدة: موقف الطريقة الرحمانية من الاحتلال الفرنسي زاوية الهامل ببوسعادة 1863-1962 أنموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، 2014/2013، ص 92.

[2]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 52-54.

وفي 30 سبتمبر 1864 م كانت القوات في مواجهة بعضها البعض، الثوار تجمعوا بالعقلة، البيضاء، وثنية الريح على مشارف درمل تحت قيادة البطل الثائر ابراهيم بن عبد الله والقوات الفرنسية عسكرت عند البرج قرب عين درمل تحت قيادة "لاكروا"، وفي حدود الساعة الرابعة مساءا بادر الثوار بالهجوم على الخطوط الأمامية للعدو بـ: 80 فارسا تمكنت إثر هذا الهجوم الخاطف من زعزعة جنود العدو وارباك صفوفه والحاق هزيمة نكراء بها أجبرت بعدها على التقهقر وترك المواقع، مما أدى "بلاكروا" إلى اتخاذ تدابير سريعة لإنقاذ الموقف ووقف الهجومات العنيفة للثوار فأرسل تعزيزات جديدة مؤلفة من 03 فيالق من قناصلة فرنسا وفيلقين من قناصلة افريقيا وفيلقا من الصبايحية، ومائة وخمسين 150 مدفعي على البغال، أوكل قيادة هذه الإمدادات للمقدم (دولاقي) وجعل في الاحتياط 100 فارس من القوم تحت قيادة النقيب (دوبومون)، أما بالنسبة للثوار فقد أدى 80 فارسا مهمتهم بنجاح تام واحتفت بسرعة وراء التلال في عملية كر وفر ليقوموا بهجومات أخرى متتالية وسريعة وتوجيه ضربات مفاجئة للعدو، ورغم التعزيزات الجديدة للعدو فان وضعيته المزرية لم تتغير، ولم تتمكن هذه التعزيزات من إيقاف الهجمات المعاكسة للثوار والتي كانت تتراوح ما بين (500 إلى 600 فارس وما يعاد لها المشاة)[1].

هذه الهجومات العنيفة والمتكررة من قبل الثوار ألجأت العدو بعد التقهقر إلى الاحتماء بمضايق درمل، أمام هذه الوضعية السيئة لفيالق "دولاقي، البشاغا المقراني" التي أصبحت في حالة يرثى لها، وتدخل لاكروا لإنقاذ الموقف، فرمى الثوار بحشود جديدة وضخمة من الصبايحية ركزت هجوماتها على المشاة وتمكنت من إحداث ثغرة في صفوفهم وفك الراية منهم، فكان ذلك داعيا من دواعي انسحاب مشاة الثوار إلى الوراء، وفي حدود الساعة السابعة مساءا أمر "لاكروا" قواته بالانسحاب إلى المعسكر تحت تغطية الرماة الجزائريين الذين بثهم في السهل كما توقفت هجمات الثوار بحلول الظلام، واشتغل كل فريق بجرحاه، واحصاء موتاه وتضميد جراحه.

[1]– نسمة قديدة: المرجع السابق، ص 93.

وكانت الخسائر كبيرة من الجانبين خاصة في صفوف العدو وخاصة أفراد القوم، وفي صبيحة اليوم الثاني بادر الثوار بمهاجمة "معسكر لاكروا" نفسه في عين درمل بأعداد كبيرة من المقاتلين بهدف هدم المعسكر وتخريبه، والاستيلاء على العتاد الحربي والذخيرة، وخطتهم في ذلك جذب العدو للخروج من المعسكر وتحين الفرصة للانقضاض عليه وتدميره[1].

وتنبه "لاكروا" لخطة الثوار ولم يتحرك من مكانه، فأثار بذلك غضب الثوار وزاد من حدة القتال الذي ازداد شراسة وتحول إلى تلاحم جسدي بالسيوف والخناجر، وتكسرت بذلك هجمات الثوار تدريجيا أمام نيران مشاة العدو ومدفعيته المتمركزة في السفح الغربي لجبل درمل، ولما خارت قوى الثوار وضعفت هجماتهم، أعطى "لاكروا" الأوامر لقواته بالهجوم على كل الجبهات لاكتساح الثوار ودفعهم بعيدا عن المعسكر، وبعد ثلاث ساعات من القتال العنيف الشرس تقهقر الثوار وتراجعوا أمام قوات العدو التي يحملون جرحاهم وبعض موتاهم وتأكدت بذلك هزيمتهم.

ولقد استمرت مطاردة العدو للثوار طيلة اليومين المواليين في المضايق والمرتفعات المحيطة بميدان المعركة، وعلى طول الرقعة الممتدة من درمل إلى برج امجدل حيث تشتت الثوار واجتازوا شط الزاغر باتجاه جبال السحارى، بينما توجه بعضهم نحو الحضنة مخترقين جبال السالات.

وبهذا النصر الغير منتظر وضع "لاكروا" حدا للثورة في درمل وفي كامل منطقة بوسعادة، وخلد نصره هذا على صخرة كتب عليها العبارة التالية: "درمل 02 أكتوبر 1864 م الكولونيل لاكروا"، وهي موجودة في جزء من حائط قنطرة درمل إلى يومنا[2].

خامسا: مقاومة المقراني 1871 م: أثناء اندلاع هذه الثورة الكبرى بقيادة البشاغا المقراني والشيخ الحداد امتدت رقعة انتشارها إلى منطقة بوسعادة التي مثلت ميدانا لبعض معاركها، ففي 23 جويلية 1872 م وقعت معركة في المكان المعروف بـ: "جنان لبطم" في الطرف الشرقي

[1]- نسمة قديدة: المرجع السابق، ص 102.

[2]- مقابلة مع شيخ الزاوية المأمون القاسمي، المصدر السابق.

للمدينة تحت قيادة "السعيد بن أبي داود" ضد قوات العدو شارك فيها إلى جانب الثوار العديد من أبناء المنطقة وسقط منهم الكثير في ميدان الشرف وقبل ذلك كانت للشيخ محمد بن أبي القاسم مؤسس الزاوية الرحمانية بالهامل علاقات شخصية واتصالات مع زعيم الثورة الشيخ المقراني بالشيخ الحداد[1]، إلا أن الشيخ ورغم مصاهرته لآل المقراني لم يشاركهم المقاومة رغم أنه رحماني وهكذا أظهر استقلاله التام وحياده اتجاه ثورة 1871 م، لكن ذلك لم يمنعه من استقبال اللاجئين إلى الزاوية من الفريقين (آل المقراني وآل الحداد)[2]، وقدر عددهم بـ 80 عائلة وأسكنها قرب الزاوية وأصبح حيهم يسمى بحي المقارنة ولايزال موجودا لحد الساعة لكنه تعرض للهدم بسبب عوامل طبيعية[3]، ولا نعلم حقيقة أو سبب عدم تدخله وذلك الحياد تجاه الثورة، قد تكون رغبة منه في ابعاد أنظار السلطات الفرنسية عنه وعن شيوخه وطلابه لأنهم قد تعرضوا لسياسة تعسفية أثناء تدخلهم في المقاومات السابقة فأرادت البقاء محايدة للحفاظ على نشاطها السري مع الثوار ولإبعاد أعين الإدارة الفرنسية عن مراقبتها.

ومن الوثائق التي تبين العلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين شيوخ الزاوية وآل المقراني الرسالة التي بين أيدينا من محمد المقراني إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم والمؤرخة في 24 ربيع الأول من عام 1267 هـ الموافق لـ 27 جانفي 1851 م، تؤكد ذلك وقد جاء فيها ما يلي: "العلم النزيه الأديب ... سيدي محمد ابن القاسم ... كيف أنت وكيف أحوالك ... أنه قدم لنا الأرفع جوابك فملأ العين سرورا ونحن نعلم أنك لست بغافل عنا ..."[4].

ورسالة الشيخ أمزيان ابن الحداد للشيخ محمد التي جاء فيها: "العارف الدال عليه سيدي محمد بن أبي القاسم السلام عليك وعلى كل من يلوذ بك أكمل السلام وأشمله ... أخلنا الله

[1]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 57، 58.

[2]- أبو القاسم سعد الله:، المرجع السابق، ج03، ص 219.

[3]- مقابلة مع شيخ الزاوية، المأمون القاسمي، المصدر السابق.

[4]- رسالة من الشيخ محمد المقراني إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم، من وثائق المكتبة القاسمية.

فضلا ... مقامك بنسلك الصالح بالكتاب والسنة والعمل بهما ... عبده الضعيف محمد أمزيان بن علي الحداد ..."[1].

وتبين الرسالتين درجة الصداقة والتواصل القائم بين الشيوخ وأبنائهم خاصة بين محمد القاسمي وزعيمي مقاومة 1871 م محمد المقراني والشيخ الحداد، ورغم الموقف الحيادي الذي أبدته الزاوية إلا أن أبنائها قد شاركوا بالمقاومة فقامت فرنسا بالاستيلاء على وثائق خاصة تحوي أسمائهم وأصبحوا بعدها مطاردين ومطلوبين عند السلطة الفرنسية[2]، اتخذت زاوية الهامل عدة مواقف تجاه المقاومة الشعبية من تأييد ومشاركة وموقف الحياد مع استقبال اللاجئين لكنها اتخذت موقف الضد مع مقاومة بوعمامة وذلك ما يظهر في مراسلة الشيخ محمد لسي يحي بن أقويدر بن عبد الله يخبره فيه: "... وأن رجلا يقال له بوعمامة خرج من عمالة وهران على رأي الدولة الفرنسية ... من لاعقل له ... في فكري وصميم عقلي ان هذا الرجل (كذا) ... جالس مع قوم بايزاء بحر زاخر عظيم فقال لجلسائه أني أحببت أن نجعل بحرا مثل هذا البحر فقيل له كيف يتصور أن تجعل فقال (كذا) أنا جاعله ..."[3]. (الملحق 09)

نحن نعلم أن الشيخ محمد بن أبي القاسم تفادى أي تعامل مع السلطات الفرنسية فكيف يرسل برسالة إلى سي يحي ويعلن عن رفضه لمقاومة بوعمامة، بالإضافة إذا دققنا في الألفاظ المستخدمة (رجل لاعقل له) (ازاء بحر زاخر- ويقصد بالبحر الزاخر فرنسا وقوتها) وكيف ينسى أن الله هو من ينصر عباده وليس الجيش، إضافة لوجود عبارات لا يتلفظ بها من نشأ وتربى تربية إسلامية، والرسالة مؤرخة بـ (10 جويلية سنة 1881 م) المعروف عن رسائل الشيخ محمد أنه كان يكتب التاريخ بالهجري وليس بالميلادي، وكيف يرسل رسالة تنديد بمقاومة بوعمامة وهو من مؤيدي المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، وعلى هذا الأساس يكون هناك

[1]- رسالة من الشيخ أمزيان ابن الحداد إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم، من وثائق المكتبة القاسمية.

[2]- مقابلة مع شيخ الزاوية، المأمون القاسمي، المصدر السابق.

[3]- رسالة من الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى سي يحي بن أقويدر بن عبد الله. أنظر عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (على ضوء وثائق جديدة)، دار هومة، الجزائر، 2011، ص 177-178.

احتمالين الأول أن الرسالة مزورة، والثاني أن الرسالة حقا قد بعثت والغرض منها ابعاد أنظار السلطة الفرنسية عن بوعمامة وعنه، واذ نظرنا إلى تاريخ محمد بن أبي القاسم نجد الاحتمال الأول هو الأصح[1].

[1]- نسمة قدبدة: المرجع السابق، ص 95.

المبحث الثاني: موقف الزاوية من الثورة التحريرية

واجه الاحتلال الفرنسي عند احتلاله للجزائر مقاومة عنيفة استبسل فيها الشعب الجزائري طيلة عقود طويلة في الدفاع عن أرضه وعرضه، فتوالت الثورات وتعاقبت الانتفاضات طيلة القرن 19 م وإلى بداية القرن العشرين، ليبدأ الجزائريون مع بداية الحرب العالمية الأولى مرحلة جديدة من النضال ضد المستعمر، تمثلت في المقاومة السياسية بعد أن تأثرت النخبة الجزائرية بالأحزاب السياسية الأوروبية، وتعلمت منها طريقة المساومة والمناورة والنضال عن طريق المنظمات الجماهيرية المنظمة بإحكام بدلا من الثورات المسلحة غير الناضجة وسيئة التنظيم، فظهرت بذلك الصحافة الوطنية وعدة حركات وهيئات ثقافية، إضافة إلى الأحزاب السياسية كالحزب المحافظ، والحزب الليبيرالي، وحزب نجم شمال إفريقيا لتساهم جميعا في إنماء الوعي الوطني، إن اختلفت توجهاتها ودرجة اسهامها[1].

ورغم أن مطلب جميع التيارات الجزائرية في هذه المرحلة سواء بالنسبة للإصلاحيين أو الليبيراليين، أو العلماء لم يكن يتعدى المطالبة بالمساواة أو الإدماج مع الفرنسيين إلا أنها لم تلق من السلطات الاحتلالية أي استجابة أو اهتمام جاد بها.

وأمام فشل هذه المرحلة بعد منتصف عقد العشرينات رفع نجم شمال افريقيا قبل حله سنة 1929 م، ثم العلماء راية انفصال الجزائر عن فرنسا، وبحلول 1930 م حلت النزعة الثورية الانفصالية محل المطالبة بالمساواة خاصة بعد الاحتفالات الاستفزازية التي أقامها المعمرون احتفالا بمرور مائة عام على احتلال الجزائر، فحملت الهيئات الوطنية والأحزاب السياسية على عاتقها مسؤولية الدفاع عن مصالح الشعب والعمل على توعيته واعداده للكفاح من أجل استرجاع كامل حقوقه، فتولت جمعية العلماء المسلمين مهمة التعريف بالدين الصحيح عبر صحفها ونواديها وعبر المساجد الحرة وتكفلت بتعليم اللغة العربية[2]، كما تولى حزب الشعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية نشر فكرة الاستقلال في أوساط

[1]– وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 118.

[2]– محمد بن مختار العلواني، المرجع السابق، ص 137.

الجماهير الشعبية عبر هيئاته وهياكله وعبر الصحف الناطقة باسمه[1]، إلى جانب الجمعيات والأحزاب الأخرى التي عملت جميعا مع اختلاف توجهاتها على صقل الشخصية الوطنية.

ثم جاءت مظاهرات 8 ماي 1945 م التي خرج فيها الجزائريون منادين بالاستقلال مطالبين السلطات الاحتلالية بالوفاء بوعودها بمنحهم حريتهم مقابل مشاركتهم في الحرب ضد النازية والفاشية، لكن الاحتلال وكعادته تنكر لوعوده وقابل المسيرات السلمية بقمع وحشي خلف أكثر من 45 ألف ضحية لتتحول المظاهرات السلمية إلى مجزرة حقيقية أكدت وحشية الاحتلال وكشفت زيف الشعارات التي كان يرفعها كالحرية والديمقراطية فتأكدت الأحزاب السياسية ومن ورائها الشعب بأكمله أن الحل الوحيد هو الكفاح المسلح دون غيره.

ووسط هذا الجو المشحون بالتوتر والاضطراب برزت إلى الوجود اللجنة الثورية للوحدة والعمل بعد الانقسامات التي وقعت سنة 1953 م بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، فأخذت هذه اللجنة الثورية على عاتقها مهمة تحضير شروط الكفاح المسلح وراحت تجمع الوسائل المادية والمالية مهيأة بذلك الظروف والشروط التي كانت كافية لاندلاع الثورة في أول من نوفمبر 1954 م تحت راية جبهة واحدة هي جبهة التحرير الوطني، ضمن جميع من يناهض الاحتلال ويهدف إلى تحقيق الاستقلال، وبالفعل اندلعت الثورة ولبى المناضلون من مختلف الأحزاب نداء الجبهة وانضموا إلى المعركة التحريرية وكلهم عزم على استرجاع الاستقلال والسيادة الوطنية بما فيهم منطقة الهامل لأنها لم تكن بمعزل عن الأحداث الدائرة حولها عن طريق احتكاك الزاوية بمختلف فئات المجتمع[2].

أولا: الطلائع الأولى للثورة بالمنطقة:

لقد عبرت ثورة أول نوفمبر عبر كل تلك الأحداث الجسام عن الاستمرارية التي اتسمت بها ارادة الشعب الجزائري في القضاء على الاستعمار الذي كان يقوم على إنكار الكيان الوطني والاستهانة بحقوق الناس، وتجهيلهم بتاريخهم واخضاعهم لطغيان المحتل الأجنبي، لكن الإرادة

[1]- وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 129.

[2]- نفسه، ص 130.

في تحقيق الاستقلال الوطني من أجل أن تعيش الجزائر حرة كريمة، وجدت تعبيرها الموفق في الكفاح المسلح، فانطلقت طاقات الشعب الجبارة تحطم القيود وتتحدى الموت في سبيل الحياة الكريمة.

وما لبث جيش التحرير الوطني أن تمكن بفضل التضحية التي ضربها في الميدان وتلاحمه الوثيق بالجماهير الشعبية من التغلب على أهم العقبات، ومواجهة الهزات التي كانت تهدف إلى إجهاض الثورة وتحريفها عن مسارها، واستطاعت الثورة المسلحة أن تحدث في ظرف زمني قصير نسبيا تحولا عميقا داخل المجتمع وفي عقلية الجماهير، كما أحدثت تغيرا نوعيا في مطامحها ومضمون مكاسبها، ومن الذين ساهموا في التضحية من أجل أن تعيش الجزائر حرة سكان منطقة الهامل.

وكما ذكرنا سابقا فقد برهنت منطقة الهامل على مواقفها المشرفة من عهد المقاومة الشعبية لتتفاعل من جديد مع ثورة التحرير حيث التحق عدد كبير من الشبان بإخوانهم في الجبال تحت لواء جيش وجبهة التحرير الوطني، وتجندوا في صفوف المجاهدين وقتل أغلبهم في المعارك الضاربة، وكبقية مناطق الوطن نالت المنطقة وضواحيها نصيبها من الحرمان والظلم والقهر المسلط من قبل العدو، ومن عملائها و"الحركة البلونيسية"* المناوئة للثورة حيث صمدوا بكل تحد في وجهها[1].

كانت الانطلاقة الفعلية للثورة بمنطقة الهامل مع بن علية عيسى* عندما عاد إلى الهامل قادما من الأوراس، وبدأ الاتصال بأبناء المنطقة حيث قام بدور كبير في تنشيط عملية الاستعداد والتهيئة للثورة، فجمع حوله الشباب وكبار العرش، فكان لعمله هذا صدى كبير ودور

*- الحركة البلونيسية: هي الحركة التي قادها محمد بن لونيس ضد جيش التحرير رافعا شعار المصالية وقد أسفرت عن عدة مواجهات دامية بينهما، وقد أبدى تعاونه مع الفرنسيين الذين قتلوه في آخر الأمر بعد أن رفض التعاون معهم من أجل إسقاط الحكومة في باريس. أنظر عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ط01، دار البعث، قسنطينة، 1991 م، ص 44-53.

[1]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 69.

*- بن علية عيسى: ولد عام 1901 م بالهامل، التحق بصفوف الثورة سنة 1955م، كان يعمل بريد ما بين الولايات والمناطق، قتل عام 1956 بجبل الزرقاء.

فعال في الإعداد والتنظيم، إلى جانب ما قام به عاشور زيان* في الجهة حيث كان يتردد على الهامل ويتصل بشيخ الزاوية الشيخ مصطفى القاسمي ويلتقي بكبار العرش.

ونتيجة هذا العمل المتواصل، برزت جماعة من كبار العرش تعمل تحت رعاية شيخ الزاوية، كما تكون فوج من المسلمين ضم شبابا متحمسا من أبناء القرية وتولى عيسى بن علية مهمة الاتصال بين العرش وقيادة الأفواج، وقد قام عاشور زيان خلال شهر أكتوبر 1955 م بعقد اجتماع في بوسعادة تم خلاله تكوين لجنة في المدينة تتولى مهمة نشر الثورة والترتيب لها في الجهة، ووسط الأعراش.

وفي أواخر 1955 م وخلال مرحلة التنظيم الأولى كانت أفواج من قيادة زيان عاشور، تجوب المنطقة الجنوبية لدائرة بوسعادة بنفس حركية أفواج الأوراس بين المقطع ودرمل مرورا بالهامل، ونتج عن هذه التحركات الأولى خلال شهر ديسمبر 1955 م معركة درمل التي جرت أحداثها عند منزل المناضل "موفق أويس"*، فكانت أولى المعارك في المنطقة[1].

إن اللجنة المشار إليها سابقا في قرية الهامل، قد قامت بدور فعال في تهيئة وتعبئة السكان وجمع التبرعات والسلاح والاتصال بالمناطق المجاورة، وتمكنت في مدة وجيزة من جمع مبلغ مالي قدره سبعمائة ألف فرنك ولباس سلم إلى المجاهدين من قبل رئيس اللجنة "حساني بولنوار"* ثم أضيفت على هذه اللجنة الصيغة الرسمية في شهر سبتمبر عام 1956 م من قبل

---

*- عاشور زيان: ولد سنة 1919 م بقرية البيض ولاية بسكرة تعلم بمسقط رأسه وحفظ القرآن ببلدة عين الملح "ولاية المسيلة"، ودرس العلوم الفقهية والدينية في زاوية الشيخ المختار، وفي 1954 م بدأ نشاطه السياسي في صفوف حزب الشعب فحركة الانتصار للحريات الديمقراطية كما كان مسئولا عن المنطقة الصحراوية في تحضير الشباب وتدريبهم استعدادا للثورة وعمل كذلك على تنظيم الجيش في بوسعادة بالتعاون مع الرائد عمر إدريس، وفي أكتوبر 1955 م التحق بمعاقل الثورة في الجبال، استشهد يوم 07 نوفمبر 1956 م أثناء معركة واد خلفون قريب من جبل ثامر. أنظر وزارة المجاهدين، "من شهداء الثورة"، من مشورات مجلة أول نوفمبر، العدد 54.

*- موفق أويس: ولد سنة 1900 م تم سجنه، ثم بعد ذلك تم لجوءه إلى حد الصحاري هناك بعدما قصف منزله، وتهدم جزء منه في معركة درمل سنة 1955 م لأنها كانت مركزا نشيطا لثوار القرية.

[1]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 65-67.

*- حساني بولنوار: وهو رئيس اللجنة ثم شيخ البلدة من قبل جيش التحرير حتى سنة 1958م قتل سنة 1958 م في القرارة الظهراوية " طريق الجلفة " بعدما داس الاستعمار مع صديقه لخذاري عمر جثمانهما بالدبابة وأحرقهما بالنار.

"محمد القرمي" بتكليف من زيان عاشور وبعد مقتله استمر اتصال اللجنة بقيادة سي الحواس، وعمر ادريس "سي فيصل".

وهكذا في عام 1956 م حين قدم القائد "عامر ميهوبي"* إلى الهامل بفوج من المجاهدين رفقة بن علية عيسى وجد هذا الفوج عرش "الشرفة" مهيأ ومعبأ للثورة، كما اتصل القائد الشهيد مرارا بالقرية، وبشيخ الزاوية وأشرف بنفسه على عمليات فدائية على الطريق الرابط بين الهامل وبوسعادة.

ولقد أدت هذه الاتصالات إلى تأكيد وتثبيت التنظيم الشعبي، فظهرت بذلك العديد من المراكز لتدعيم ومساندة الثورة، ومنها دار "خليل القاسمي" بالمقطع الذي يقع بين الهامل وبوسعادة، ومركز "موفق أويس" بدرمل، ومركز العيشي ساعد بالصدارة في السفح الشمالي لجبل الزرقاء، وجند عدد من الشبان في صفوف جيش التحرير.

وبعد عام 1957 م ازدادت المراكز حيث عين مركز عائشة باضة بالقرب من درمل ومركز عبد الكريم زاوي في المقطع، وغيرهم من بيوت المجاهدين وكلها كانت مراكز للتموين والإيواء وا ستقبال البريد وإلى غير ذلك من الأعمال.

ولم يكد ينتهي عام 1956 م حتى كان التنظيم الثوري بالهامل قد استقر، وانضوى "الشرفة" تحت لواء جبهة وجيش التحرير الوطني، وقدموا أعز ما يملكون بكل صدق ودون أي تردد، واستمرت الهامل طيلة سنوات الثورة تقدم المال والرجال، وتوفر الأمن والراحة لدوريات المجاهدين التي كانت تأتي تباعا للقرية وضواحيها ونشط العمل الفدائي، وتلاحم المواطنون والمسبلون والمجاهدون لنصرة الثورة[1].

ثانيا: المعارك التي شهدتها المنطقة:

1- معركة درمل ديسمبر 1955 م: وتعد من أولى المعارك التي وقعت في منطقة بوسعادة "المنطقة الثالثة" أوراس النمامشة، فقد كان عاشور زيان يتردد بين المقطع ودرمل والهامل في

*- هو ميهوبي عامر بن الحاج صالح المسؤول العسكري للجهة.

[1]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 68-69.

مهمة تنظيمية، حيث اتصل هذا الفوج بالحاج خليل القاسمي* بالمقطع ومنه انتقل إلى درمل أين اتصل بالمجاهد "موفق أويس" ليعود من عنده إلى الهامل، الذي اتصل فيه بعبد اللطيف الهاشمي، وقضى ليلته هناك ثم عاد الفوج إلى درمل ومكثوا في منزل الموفق أويس بعدما اتصل بهم عدد من الشبان قصد التجنيد، والانضمام إلى صفوف الثورة وبينما هم في منزل موفق أويس فوجئوا بإطلاق النار، فانسحبوا حيث خرجوا من الباب الشرقي للمنزل الذي يؤدي إلى شعبة كثيفة الأشجار تسلل منها المجاهدون ودخلوا في اشتباك عنيف مع جنود العدو وتمكنوا اثره من إحداث خسائر في صفوفه والخروج من دائر الخطر[1].

وبحلول الظلام وصلت تعزيزات للعدو مدعمة للدبابات تقدمت نحو منازل المواطنين وهدمت بعضها وقصفت منزل موفق أويس، كما قام العدو بحشد السكان نساء ورجالا وأذاقهم من العذاب ألوانا واستمرت العملية كذلك حتى الصباح حيث أعدم ثلاثة شبان برصاص العدو وأخذ الرجال إلى سجن بوسعادة، وأخليت درمل من سكانها، حيث توجه الأطفال والنساء إلى الهامل، كما قام العدو بتطويق وبحملة تفتيش واسعة النطاق للمنطقة المجاورة وداخل قرية الهامل.

2- معركة درمل الثانية خريف 1956 م: جرت أحداثها في خريف 1956 م بنفس المنطقة ضد جنود العدو وفوج من قيادة سي الحواس بقيادة "روينة محمد" المدعو قنتار وبمشاركة محمد الريف خير الدين- عمر صخري- عمار حشية- حميد بولبراح- سعد دراج إلى جانب عدد كبير من المجاهدين تكبد فيها العدو خسائر معتبرة في العتاد والأرواح[2].

---

*- ولد الخليل بن مصطفى الحسنى سنة 1930 م بالهامل حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين، ثم شرع في تلقي علوم الفقه والتفسير والمنطق والحديث واللغة على يد شيوخ الزاوية، كان من بينهم مصطفى القاسمي الحسني والشيخ بن عزوز القاسمي والشيخ عبد الحي الكتاني، ولم يبلغ العشرين من عمره حتى تصدر للتعليم بالزاوية مجازا من كل مشايخه، عند اندلاع الثورة الجزائرية لبى نداء الجهاد، وقام بتأسيس أول خلية لجيش التحرير بالمنطقة سنة 1956 م، وكان على اتصال دائم مع سي زيان عاشور، العقيد الحواس والعقيد محمد شعباني والرائد عمر إدريس، توفي بتاريخ 17 فيفري 1994 م.

[1]- وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 143-144.

[2]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 72-75.

وقد صرح عمر صخري بمناسبة إحياء ذكرى المعركتين بدرمل حيث قال: " لزاوية الهامل القاسمية ونعترف لها بالجميل لدورها الفعال والمخلص أثناء الثورة التحريرية وما قدمته عبر الأجيال الماضية والمؤرخة في 1993/10/28 م[1]. (الملحق 10)، من خلالها يظهر الدور البارز الذي قامت به زاوية الهامل وأهاليها في الوقوف ضد العدو المغتصب.

3- معركة الزرقاء بجبل أمساعد: جنوب الهامل في 02 فيفري 1957 م، بعد عودة سي الحواس (أحمد بن عبد الرزاق) نقيب المنطقة الثالثة إلى الجهة دعا إلى اجتماع كبير للجيش ومناضلي المنطقة وضح فيه القائد العام قرارات مؤتمر وادي الصومام ودعا إلى تطبيقها والعمل بها[2]، بقيادة عامر ميهوبي والذي كان قد جمع حوالي 150 مجاهد إلى جانب فرقة القائد سي الحواس حوالي 50 مجاهد وفاجأتهم طائرات العدو المروحية في انزال القوات التي أخذت في تفتيش الجبل بينما انتشر المجاهدون في مواقعهم الحصينة بالجبل وهم يملكون أسلحة فردية من نوع (ستاتي) (موسكوتو) (خماسيات)، وبنادق صيد وقطعة رشاشة واحدة من عيار 30 (كانت ملكا لسي الحواس)[3].

انطلقت المعركة وكانت محتدمة بين الطرفين ودون أن يتمكن العدو من اقتحام مراكز المجاهدين عندئذ أمرهم بالتراجع لقنبلة المكان، وبعد القيام بهذه العملية بأسراب من الطائرات وبعد توقفه دخل المشاة الفرنسيين واشتبكوا معهم مرة ثانية مضيفين انتصار آخر لجيش التحرير الوطني وفي طريق نيل الحرية والاستقلال[4].

---

[1]- وثيقة حول كلمة ألقاها الرائد عمر صخري في زاوية الهامل، من وثائق المكتبة 1993/10/28 م.

[2]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 75.

[3]- لخميسي فريج: العقيد سي الحواس (مسيرة قائد الولاية السادسة 1923-1959)، د. ن، بسكرة، 2011، ص 216-217.

[4]- علي العياشي: معركة جبل الزرقة: في مجلة أول نوفمبر، عدد81، جمادى الثانية جانفي 1987 م، ص 22.

4- معركة جبل النسينسة*: في 09 جوان 1957 م كانت هذه المعركة بقيادة "المخلوف بن قسيم*" وعمر إدريس وكان عدد المجاهدين، 240 مجاهدا أما قوات العدو فقد تجاوزت 5000 عسكري تدعمها 35 طائرة وحشد كبير من الدبابات والمدفعية بدأت على الساعة 6:00 صباحا واستمرت حتى 1:00 ليلا وتكبد فيها العدو خسائر جسيمة قدرت بمئات القتلى والجرحى وقتل فيها مجاهدين معظمهم من طلبة زاوية الهامل[1].

5- معركة الزرقاء بجبل أمساعد: جنوب الهامل في 02 فيفري 1958 م، جاءت هذه المعركة نتيجة لملاحقة المظليين وخونة بلونيس لجيش الرائد عمر إدريس، بعد معركة الطرايفية، بدأت على الساعة الثامنة صباحا حتى الليل شارك فيها الطيران والمدفعية الثقيلة والدبابات، ونتج عنها قرابة 70 قتيلا من الأعداد من بينهم ضابط يسمى "ريكور"، كما قتل المجاهدون "جلول مغلاني" و"صيدقي التاج"[2].

6- معركة الصفيصفية: في 10 جانفي 1959م جاءت هذه المعركة ضد خونة بلونيس وجرت أحداثها في الثنية البيضاء غرب درمل ضد بلونيس بقيادة بن جدو، قامت بها كتيبة من جيش التحرير بقيادة سليماني (لكحل) بدأت مع طلوع الفجر إلى غاية منتصف الليل مخلفة خسائر جسيمة في صفوف الخونة بلغت 42 قتيلا من بينهم قائدهم و18 أسيرا، وغنم المجاهدون 60 قطعة من السلاح وفي اليوم الموالي واصل المجاهدون مطاردتهم ممن تبقى منهم حتى المكان المسمى الخرزة بأولاد عامر وأصابوا منهم عددا كبيرا[3].

---

*- جبل النسينسة: جبل يقع جنوب امحارقة " يقع جبل المحارقة شمال شرق بوسعادة يبعد عنها حوالي 30 كلم "في تراب بلدية واد شعير، بلدية محمد بوضياف حاليا".

*- المخلوف بن قسيم: هو من عرش المخاليف طولقة ولاية بسكرة، التحق بالثورة في مطلع 1955 م، اسقط بعض من الطائرات الفرنسية في عدة معارك منها: المحارقة والزعفرانية والميمونة والنسنيسة، قتل في أواخر 1961 م بجبل أمساعد ببوسعادة، شهادة المجاهد علي امهيري.

[1]- وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 145-146.

[2]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 78.

[3]- علواني عامر: مساهمات في تاريخ الثورة: "قسمة 54"، الهامل يوم 20 أوت 1998 م، ص 70-79.

7- معركة العلق: قرب جبل بوكحيل في 02 سبتمبر 1960 م، دامت من شروق الشمس حتى العاشرة ليلا حيث رمى فيها العدو بحشود كبيرة من عساكره تعززها قوات من الحلف الأطلسي وتدعمها الطائرات والدبابات والمدافع طويلة المدى، أما قوات جيش التحرير فكانت الكتائب تحت قيادة مسئول الناحية الضابط مخلوف بن قسيم.

جاءت المعركة إثر عملية تفتيش كبيرة قام بها العدو في المنطقة بطريقة استعراضية لقواته، وفي نيته أنه سيتمكن من إلقاء القبض على المجاهدين بكل سهولة، وقد هيأ لذلك كامل عدته حتى الكاميرات التلفزيونية والسينمائية لنقل صور المجاهدين وهم في حالة استسلام، غير أن الأمر لم يكن كما خطط له العدو، بل فرض عليه المجاهدون معركة عنيفة جعلته يستغنى عن فكرة استعراضه وكاميراته ويفتح المجال لتدخل الطيران والمدفعية والدبابات للدفاع عن قواته البرية التي أصبحت تعاني من ضعف أمام المجاهدين.

وقد استمر القتال ضاربا حتى العاشرة ليلا مخلفا خسائر بشرية ومادية حسيمة في صفوف العدو وإسقاط طائرتين وعطب وتعطيل عدد من الآليات الأخرى، أما في جانب المجاهدين فقد استشهد 14 مجاهدا وأسر عدد من المجاهدين[1].

8- معركة مركز اجتماع جبل بوكحيل: في 01 فيفري 1961 م، استمرت يوما كاملا تحت قيادة الملازم الثاني قائد الناحية الثانية مخلوف بن قسيم، بدأت المعركة لتستمر حتى صبيحة اليوم الموالي استعمل فيها العدو أثناءها الأضواء الكاشفة لمراقبة المجاهدين.

ونظرا لظروف القتال وهول المعركة وكثرة جنود العدو، فإن المجاهدين اضطروا إلى فك الحصار بقوة النار إثر عملية اقتحام ومداهمة لخيمة القيادة التي كان بها ضابط سام، كانت قد نصبت قبل بداية المعركة حيث تمكنوا من الخروج وترك الأعداء يتخبطون في دمائهم بعد أن كبدوهم خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد من بينها: أربع دبابات ومجترة وسيارة جيب وإسقاط

[1]- نسمة قديدة: المرجع السابق، ص 99.

طائرتين "عمودية ومقاتلة"، غنم المجاهدون كثيرا من الأسلحة والذخيرة، أما الخسائر في جانب جيش التحرير فكانت 16 قتيلا، كما أسر بعض المجاهدين[1].

9- معركة أوذيان: في جانفي 1962 م جرت أحداثها بالمكان المسمى أوذيان في جبل الرميمينة قرب عين أغراب بين درمل وتواب تحت قيادة الضابط الأول "ابراهيم بن يطو" رفقة المساعد عيسى خرفالي، رمى فيها العدو بحشود ضخمة منش الجنود مدعمة بالدبابات والمدفعية الثقيلة والطيران، شملت الرقعة الممتدة من جبل الرميمنة حتى درمل تميزت بالضراوة والعنف والتدخل المستمر والمكثف للطيران، أسفرت عن خسائر كبيرة في صفوف العدو وتجاوزت 40 قتيلا غير الجرحى، وسقط في ميدان الشف الضابط الأول ابراهيم بن يطو، والمساعد عيسى خرفالي والمجاهد عيسى زابي، وأحمد ربيع (المانع)، وطيبي علي، كما أسر المجاهد وذان مصطفى، عبد الله القط، عيسى صحراوي، محادى رابح، (السليخ)[2]، كما اكتشف الطيران بالمكان المسمى "شعبة حمام" بدرمل المجاهدان "حسن بلقاسم بن الشيخ، ولهلالي ابراهيم"، وقام بقصفها مما أدى إلى مقتل حسن بلقاسم شيخ البلدة من قبل الثورة، وتمكن رفيقه من النجاة[3]، وكرد فعل لذلك قام العدو بحملة تفتيش شملت كل المنطقة الممتدة من الهامل إلى السحارة مرورا بدرمل وتواب وجبل الرميمنة وعين أغراب، وجبل الزرقاء، واعتقل خلالها عدد كبير من المواطنين والمناضلين في هذه الجهات نذكر من بينهم في قرية الهامل "عبد الباقي المدني الإمام حرزلي ساعد (الطيار)"، ونهب جنوده الكثير من أغنام ومواشي أولاد عمر فرج، وحرق عدد من الخيام[4].

ثالثا: مساهمة زاوية الهامل في الثورة الجزائرية:

لم تكن زاوية الهامل قبيل اندلاع الثورة التحريرية بمعزل عن الأحداث الدائرة حولها فقد كان لشيوخها احتكاك واسع بكل فئات المجتمع واهتمام بالغ بقضاياه، واطلاع على كل ما يدور

[1]- علواني عامر: المرجع السابق، ص 72-75.

[2]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 93.

[3]- وثيقة حول معركة أوذيان جانفي 1962، من وثائق المكتبة القاسمية.

[4]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 94.

بالساحة الجزائرية والعربية، فكان الشيخ مصطفى* مشتركا في معظم الجرائد العربية الصادرة في المغرب العربي ومصر، كما كانت تربطه صلات بالعديد من العلماء والزعماء السياسيين، وكانوا يزورونه في بيته أو في زاويته كلما سنحت الفرصة، كزيارة مصالي الحاج له عام 1946م وهو يقوم بحملته الانتخابية ومصالي كما هو معروف من رموز الحركة الوطنية بالشمال الإفريقي الداعين إلى استقلاله التام.

كانت مواقف الشيخ مصطفى السياسية نابعة من إيمان عميق وروح وطنية، كموقفه المناهض لسياسة الإدماج التي حاولت فرنسا تطبيقها سنة 1936 م، وكان لمثل هذه الواقف التأثير البالغ على نشأة ابنه الشيخ الخليل السياسية التي لاحت معالمها أول ما لاحت أثناء مشاركته في أحداث 1945 م والتي قال عنها في مذكراته: "اتصلت بالشباب الثائر هناك في المنصورة والياشير والبيبان وبرج بوعريريج وكانوا يودعوننا الوداع الأخير وهم يحملون أسلحتهم ليخوضوا غمرة الكفاح، كان ذلك الاتصال بهم في تلك الواقعة التاريخية الخطيرة أول شرارة قدحت فينا شعلة الوطنية وحب الثورة الملتهبة".

وهكذا فقد نشأ الشيخ الخليل نشأة وطنية متشبعا بحب الثورة وساعده في ذلك كثرة تردده على خاله السيد زين العابدين بن عبد الله الأحرش، الذي كان عضوا بارزا في الحركة الوطنية وأحد نشطاء حركة الانتصار، والمعتقل لأكثر من مرة في السجون الفرنسية وآخرها كان قبيل الثورة في زنزانة واحدة مع الرئيس أحمد بن بلة[1].

عمل الخليل مع أترابه القاسميين وبعض طلبة الزاوية على إنشاء جمعية سموها "المحافظة" التي تجسد نشاطها في إصدار مجلة أدبية فكرية سياسية أطلقوا عليها اسم "الروح" فكانت خير شاهد على وعيهم السياسي وبعد نظرهم وعمق تفكيرهم الإسلامي، وقد قال عنها

*- كان مولد الشيخ مصطفى سنة 1897 م ببلدة الهامل، ترعرع في أحضان بيئة طبية حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ثم اشتغل بتحصيل العلم، وخلال 1928 م تولى منصب مشيخة الزاوية بعد وفاة عمه الشيخ أحمد، وفي ولايته تعاقبت الأحداث، وشهدت الجزائر تنامي الوعي الديني وانتشار الحركة الوطنية، التي وجدت في الزاوية مناصرا لها، ومعقلا لثورة التحرير عند اندلاعها، توفي سنة 1970 م. أنظر: وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 150-151.

[1]- وفاء بن علية، المرجع السابق، ص 227.

الشيخ الخليل: "مجلة الروح خطوتنا الأولى في ميدان النضال وكل من دخل الكفاح المسلح او النضال العملي مدفوعا بمثل هذه الروح لتحقيق تلك الأهداف إلا لاقي أمنيته في الاستشهاد أو غايته في الاستقلال"[1].

ووسط هذا الجو المفعم بالنضال اندلعت الثورة التحريرية، واحتضنها الشعب ولم يختلف عن ذلك أبناء الزاوية والقائمين على إدارتها ولعل انسب ما يعبر عن ذلك هذه الفقرة الواردة بمذكرات الشيخ الخليل: " وفي ليلة الثاني من نوفمبر، وحول مائدة العشاء في البيت المتواضعة التي يسكنها الأخ أحمد القاسمي* بن الشيخ محمد بنعزوز، وكنا نقلب أوجه الراي في برنامج الدراسة، دراسة تلك السنة، وإذا بالمذيع يعلن اندلاع الثورة التحريرية وبداية الكفاح المسلح.

فأرهفنا الإسماع لتقصي كامل الأحداث التي جرت في ليلة الفاتح من نوفمبر، وأخذت تدب في نفوسنا قشعريرة لسماع النبأ السار الذي تحققنا من أول سماعه استقلال الجزائر حتما، طال أمد الكفاح أم قصر، وفي تلك اللحظة الحاسمة انقلب تفكيرنا من ترتيب برنامج الدراسة إلى ترتيب ما يجب علينا أن نقوم به من عمل في ميدان الكفاح وإلى ما ينتظرنا من واجب وطني مقدس يجب علينا أن ننهض به ومرت بنا أشهر طويلة كأنها سنوات ونحن نلتمس طريق الوصول إلى الاتصال بالإخوة المجاهدين، ومناطقنا المجاورة في خمود تام، كان العمليات الحربية في بلد أجنبي، وجبال أوراس وجرجرة بعيدة عنا كل البعد وهب أنها قريبة، فمن نثق به أو من يثق بنا ليرشدنا إلى معاقل الثوار أو إلى من يتصل بهم، وهكذا قضيناها أشهرا عدة في تململ حينا وتوثب حينا آخر، نتابع الأنباء ونسأل الجبال ونتبادل الرأي ونتوسم الوجوه ونترصد أول إشارة تأتينا من الإخوة الثائرين، وقصرنا الجهد في شحذ النفوس والتلامذة بالمعهد، وإلهاب الروح الثورية حتى شعرت واتقدت، واعتمدنا مزج دراسة الفقه بفضائل الجهاد وفضل المجاهدين فكان لتلك الدراسة أثرها الفعال فيما بعد..."[2].

---

[1]- الحاج الخليل القاسمي: من وحي الذاكرة، مذكرات حول الثورة، إعداد الأستاذ محمد فؤاد القاسمي، مرقونة على الكومبيوتر، ص 88.

*- المدعو سي احميدة ابن عم الشيخ الخليل وأخوه من الرضاعة وصهره وصديقه.

[2]- الحاج الخليل القاسمي: المصدر سابق، الص 66.

يتضح لنا من خلال هاته الفقرة مدى تحمس الخليل رفقة أقرانه بالزاوية للجهاد، ومدى اقتناعهم بالكفاح المسلح، وبدءهم التفكير في كيفية الانضمام في الثورة منذ الوهلة الأولى لانطلاقها وفيما يجب عليهم القيام به تلبية لنداء الواجب الوطني، لكنهم لم يتمكنوا من الاتصال بالثورة لأن قادتها في هذه المرحلة ركزوا عملهم في إعطاء انطلاقة قوية تضمن استمرارها وتواصلها، فركزوا جهودهم بالمناطق التي تساعد طبيعتها على ذلك، كمنطقتي الأوراس وجرجرة ثم عملوا فيما بعد على نشر الثورة بكامل مناطق القطر الوطني بما فيهم منطقة الصحراء التي أصبحت بعد مؤتمر الصومام ولاية مستقلة بحد ذاتها تعرف بالولاية السادسة.

لكن الثورة لم تنتظر انعقاد مؤتمر الصومام لتصل إلى هاته الأنحاء، كما أن زاوية الهامل لم تنتظر وصول الثورة إليها لتبدأ العمل، فقد بدا التحضير والاستعداد منذ إعلان انطلاق الثورة وأصبحت دروس الفقه ممزوجة بالحديث عن فضائل الجهاد وفضل المجاهدين، وبذل شيوخ الزاوية جهدهم في شحذ نفوس الطلبة والهاب روح الثورة الوطنية فيهم، فكان لهذا العمل أثره البالغ فيما بعد على خريجي الزاوية وطلبتها الذين التحقوا بالثورة ومنهم بلقاسم قرين.

وفي منتصف سنة 1955 م بدأت طلائع النظام الثوري تدب في أنحاء الهامل، وأخذت الخلايا السرية تتكون، فقد عاد بن علية عيسى من الأوراس وقام بتنشيط عمليات الاستعداد والتهيئة للثورة، فجمع حوله الشباب وكبار العرش فكان لعمله كما سبق ذكره صدا كبير ودور فعال في الإعداد والتنظيم، إلى جانب ما قام به زيان عاشور الذي كان دائم التردد على القرية كثير الاتصال بشيخ زاويتها الشيخ مصطفى وبعض أفراد الأسرة القاسمية، فقد اتصل بلقاسم القاسمي بالقائد سي زيان في 09 سبتمبر 1955 م وكان أول قائد ثوري كون معه الاتصال فحمله بتعاليم ثورية تدعوا كلها إلى تأييد الثورة والعمل بها دون أن تضع قوانين نظامية يكون عليها سير النظام الثوري[1].

[1]- محمد بن مختار العلواني، المرجع السابق، ص 149.

واستمر الأمر على حاله بالنسبة لأبناء الزاوية والقائمين عليها إلى أن قرر شباب الأسرة القاسمية عقد اجتماع عام في آخر شهر نوفمبر يبحثون فيه كيفية مساهمتهم في الثورة، ثم الالتفاف فيه على وجوب إنشاء منظمات سرية تعمل لصالح الثورة الجزائرية في كل البقاع أو المناطق التي يحل بها القاسميون، فتكفل الحاج الخليل وأحمد بجمع التبرعات والإعانات بمنطقتي الهامل وبحبح، كما تكفل بمثل ذلك محمد بن القاسم الشيخ بعين يوسف، محمد كمال بماجينو، على أن يضمن وصولها إلى المجاهدين السيد بلقاسم القاسمي[1].

وقام الحاج الخليل رفقة أحمد القاسمي بتأسيس أول خلية ثورية في الهامل ضمت إضافة إلى من سبق ذكرهم عمه الشيخ حسن، فكانت أول لجنة للعمل الثوري، وتولى الإشراف عليها القائد سي زيان عاشور، وما لبث أن توسعت دائرتها لتضم أيضا والده الشيخ مصطفى وبعض شباب الأسرة القاسمية وبعض الأفراد من أشراف الهامل، وبدأت اللجنة نشاطها في تنظيم خلايا العمل الثوري وشراء الأسلحة والذخيرة واعداد اللباس للجيش، وقامت بنقل هذه المساعدات إلى القيادة من مراكز سرية في الزاوية.

وفي يوم 27 جويلية 1956 م ألقي القبض على الشيخ الخليل خارج مدينة الجلفة وهو في طريق عودته إلى من اللقاء الذي جمعه بالقائد زيان، وكان بحوزته خمس رسائل من وإلى جيش التحرير الوطني، فتم نقله على إثر ذلك إلى سجن البرواقية، ثم نقل إلى سجن البليدة، وتمت محاكمته بعد ان وجهت له تهمة حمل وثائق ووسائل تدل على علاقة صاحبها "بالإرهابيين" على حد تعبير القضاء الفرنسي آنذاك وعلى نشاطه معهم، فحكم عليه يوم 10 أوت 1956 م بالسجن لمدة عامين وغرامة مالية قدرها مائة ألف فرنك فرنسي، وسجل ذلك الحكم تحت رقم 123 بتلك السنة[2]، ومن ثم حول إلى سجن بربروس العسكري بالعاصمة المسمى آنذاك "بسركاجي" ليخفف الحكم بعدها إلى سنة ثم إلى ستة أشهر، وباقي المدة موقوف

[1]- وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 159.

[2]- مقابلة مع الشيخ أبي الأنوار دحية، أمين المكتبة، المصدر السابق.

التنفيذ مع تطبيق حكم الإقامة الجبرية، وهذا بعد أن فوض والده أكبر محامي في الجزائر آنذاك للدفاع عنه، وهذا الحكم مثبت في سجل أعضاء جيش التحرير تحت رقم 400[1].

ومعروف بالتواتر أن الخليل كان على اتصال بالعقيد أحمد بن عبد الرزاق المدعو سي الحواس، والرسالة التي سنوردها الآن تؤكد ذلك، فقد جاء فيها ما يلي:

"جيش التحرير الوطني الجزائري وجبهة التحرير الوطني الجزائري، قيادة منطقة الصحراء.

أخي المحترم: تحية عربية إسلامية من أخيك المواطن الذي يضمر لك من الحب ما يضمر أخ مواطن لأخيه المواطن أخي لقد اتصلت (كذا) برسالتك المخبرة عن شعورك واحساسك نحوى كما أنني مسرور جدا بهذه الرسالة التي تدل على اخلاصكم الوطني وايمانكم بنجاحنا المنشود الذي هو على وشك البلوغ والى الملتقى القريب ان شاء الله وتقبل فائق الاحترام، أخوك الحواس".

وشاء الله أن تعيش المنطقة ظروفا صعبة وحرجة جدا ابتداء من مقتل القائد عاشور سي زيان، وغياب كل من عمر إدريس الذي ذهب إلى المغرب حيث التقى مع القيادة العامة للجيش، والتي كان على رأسها بوصوف وتم الاتفاق على تسمية المنطقة محل الخلاف الجلفة والأغواط بالمنطقة التاسعة، والحاقها عسكريا بمنطقة العمليات الخامسة[2].

وفي هذه الأثناء وبغياب كل من عمر إدريس ونائبه الطيب فرحات المدعو السوفي قام بن لونيس بقتل عبد الرحمان الحاشي* واستولوا على الختم واستدعوا جميع المسؤولين فرادى، وكل من وصل إليهم قتلوه وبلغ عدد الإطارات التي اغتالوها ثمانين ثم أشاعوا بعدها في أوساط

---

[1]- محمد بن المختار العلواني: المرجع السابق، ص 53.

[2]- مجلة "الثقافة "، السنة الثالثة عشر، عدد 75، ماي- جوان 1983، ص 05.

*- روج هذه الإشاعة العربي مزيان القبائلي الذي كان مندسا في صفوف جبهة التحرير في جيش القائد عاشور سي زيان، وظهر عن حقيقته بعد ظهور المؤامرة. أنظر الهادي درواز: الولاية السادسة تنظيم ووقائع، ص 122.

الجنود البسطاء بأن جبهة التحرير قتلت عمر إدريس، والطيب فرحات غدرا، وبأن هؤلاء الإطارات خونة[1].

وبعد عودة القائد عمر إدريس من المغرب أواخر 1957 م مزودا بكتيبتين من الولاية الخامسة أصبحت قوات بن لونيس محاصرة من الغرب بقوات عمر إدريس، ومن الجنوب والشرق بقوات سي الحواس وهكذا ألحق بها هزيمة نكراء في جبال (النسينسة، الميمونة، أكحيلة، بوديرين، جبل أمساعد... إلخ)، وازداد شعور المواطنين بثقتهم في جبهة التحرير وظهرت حركة بن لونيس على حقيقتها كمؤامرة دنيئة بعدما عانت الويلات، والخراب من طرفها.

وحاولت السلطات الاحتلالية بعد إطلاق سراح الحاج خليل إغراءه واستمالته فعرضت عليه منصبا إداريا هاما على مستوى الناحية، لكن الشيخ لم يكن ليخضع شيء من هذا القبيل، فلم يكن ليساوم في مبادئه فرفض ما عرض عليه وعاد ليستأنف نشاطه، فاجتمع لديه بالزاوية بعد أسبوع من إطلاق سراحه أفراد من جيش التحرير ليعتقل مجددا دون تهمة بعد أن وشي به واقتيد إلى التحقيق هناك ببوسعادة وألزم بعد ذلك بالتوقيع اليومي في مركز الهامل[2].

رغم هذه المضايقات إلا أن الشيخ لم يتوقف عن النضال فضلت علاقته بالثورة قوية واستمرت المراسلات بينه وبين قادة وأفراد جيش التحرير، فقد أرسل إليه السيد الشريف* العريف الأول السياسي للولاية الأولى المنطقة الثالثة الناحية الثالثة رسالة بتاريخ 26 جوان 1957 م عليها ختم جيش التحرير الوطني يخبره فيها عن وصول ما أرسله إليه وأنه قد قام بتوزيعها كما حثه في هذه الرسالة على بذل الجهد بكل صفة على حد تعبيره.

وهكذا تعددت اتصالات الشيخ، كما تعددت ألقابه الثورية واختلفت من جهة إلى أخرى فعرف بالحاج الخليل، وبالحاج، كما عرف بـ "معروف" و"سليم"، وهو أيضا مسؤول مكتب رقم

---

[1]- عبد المنعم القاسم، المرجع السابق، ص 318.

[2]- وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 170.

*- يدعى الشريف البرجي من مواليد برج عزوز دائرة طولقة ولاية بسكرة وكان من أوائل الذين حملوا المسؤولية في هذه المنطقة. شهادة المجاهد طيبي الطيب.

105 وهو مسؤول هيئة التنوير، ثم أوكلت إليه قيادة الثورة مهمة مد كتائب من الجيش في المنطقة، بما تحتاجه من مؤونة ولباس وكان يعمل على سد النقص حيثما كان بما في ذلك الإمداد بالسلاح، كما عهد إليه الاتصال بوحدات المجاهدين للولايات، وممن كان على اتصال وثيق بهم منذ بداية نشاطه الثوري وإلى غاية الاستقلال نذكر، سي زيان عاشور والحسن عبد الباقي، وأحمد بن عبد الرزاق وعمر إدريس والطاهر لعجال المدعو "صديق"، محمد شعباني والسعيد عبادو* وامعمر بوسفي ومحمد قنتار ومحمد الطاهر خليفة* وعبد القادر الدائري وأحمد بن الشريف.

ويبدوا أن السلطات الاحتلالية لم تكن في غفلة عن تحركات الخليل إلا أنها لم تستطع الإيقاع به لما كان يحيط به من تحركات من سرية، ولتوخيه الحيطة والحذر في جميع أنشطته بعدما اكتسبه من خبرة مما سبق، وما تعرض له فأصبح يتفادى كل ما قد يقيم الحجة عليه، ولكن هذا لم يمنع السلطات الاحتلالية بعد أن ضاقت ذرعا من تحركاته أن تختطفه وهو يدرس بالمسجد القسمي صبيحة يوم 12 ديسمبر 1957 م ليمكث يومين في المركز الأمني ببوسعادة، ثم نفي بعد انتهاء التحقيق إلى قرية دالي ابراهيم بضواحي العاصمة أين أمضى هناك ستة أشهر يتردد على مركز الأمن كل يوم للتوقيع[1].

*- السعيد عبادو: من مواليد 1936 م ببرج بن عزوز بسكرة، درس بالمعهد في قسنطينة، انخرط في الثورة 1956 م، تقلد عدة مهام في الثورة كما عاصر الحواس وعاش مع شعبان، ثم أصبح مسئول مكتب المنطقة ثم مسؤول في غرداية، اعتقل في أزمة شعباني، اشتغل محافظا لحزب جبهة التحرير في عدة ولايات نائب رئيس في المجلس الوطني الشعبي، ثم عضو أمانة المنظمة الوطنية للمجاهدين، ثم وزيرا للمجاهدين 1994-1999، ثم نائب رئيس المجلس الوطني الشعبي. أنظر: وفاء بن علية، المرجع السابق، ص 171.

*- محمد الطاهر خليفة: من ولاية بسكرة كان ملازم أول في المنطقة الثالثة في سنة 1960 م حتى الاستقلال ثم أصبح رئيس دائرة بسكرة. حسب شهادة المجاهد علي مهيري.

[1]- الحاج الخليل القاسمي: المصدر السابق، ص 79-82.

لم يتوقف الشيخ الخليل حتى في هذه الفترة عن اتصاله بالثورة من خلال اتصاله بجيش الولاية الرابعة، وقد تفطن الاحتلال إلى ذلك مما دفعه إلى وضعه تحت الإقامة الجبرية في منفى "باول غزال"* ابتداء من يوم 22 جوان 1958 م، واضطر الشيخ مصطفى للانتقال إليها بعائلته ليقيم مع ابنه، فاكترى مسكنا للإقامة فيه وأحدث بذلك نوعا من النشاط العلمي بانعقاد حلقات العلم وعودة الشيخ إلى مجلس الوعظ والإرشاد والخليل إلى إقراء الألفية ومختصر الخليل، وبدأت وفود الأتباع تتلاحق ودبت الحركة وأصبح المكان شبه زاوية صغيرة.

ولم تنقطع عنه رسائل المجاهدين حتى بهاته الفترة، فقد وصلته من السيد محمد الحاج المدعو "حما الحاج" الملازم الأول السياسي للولاية السادسة المنطقة الثالثة الناحية الأولى أعرب فيها عن أسفه لغياب الشيخ، وقد جاء فيها ما يلي:

"الجمهورية الجزائرية. جبهة التحرير الوطني. جيش التحرير الوطني الجزائري.

ولاية 6 منطقة 3، ناحية 4، الأخ السيد الخليل سلاما وطنيا وتحية عربية صادقة وبالتالي:

كتابنا هذا أشعركم فيه بأننا على غاية من الهناء، وأمنيتنا بالمزيد لكم في ذلك. غيابكم علينا بكل واقعية نعتبره ثلمة في أعمالنا ومهما قصر هذا الغياب نميزه. الظروف الآن تعمل لصالح قضيتنا والمسألة بقيت رهن أعمالنا[1].

سلامي . تحياتي . أشواقنا إلى الوالد، الوالدة، الأسرة بأجمعها وإلى اللقاء . النهاية . الملازم الأول السياسي المنطقة الثالثة للناحية الأولى .

واصل الشيخ الخليل نشاطه بحزم وعزم وواصل دعمه للمجاهدين وإمدادهم بكل ما يحتاجونه وهذه رسالة أخرى من السيد محمد الحاج توضح ذلك:

" الجمهورية الجزائرية . جبهة وجيش التحرير الوطني الجزائري . ولاية 6 منطقة 3 . ناحية 1.

*- باول غزال: مدينة عين وسارة "ولاية الجلفة حاليا".

[1]- وفاء بن علية، المرجع السابق، ص 325.

الأخ الوفي السيد رقم 105 سلاما وطنيا وتحية عربية صادقة وبالتالي: شرفنا يريدكم أخيرا.

الصورة الحقيقية والأمل الوحيد هو أن تبقى دائما على العهد الأول : رد إليكم المذياع التي وجهتموه لنا لأن هذا النوع لا يصلح إلى ما التزمنا به (كذا)، حيث يعتبر كبير الحجم ومن النوع الذي ليس صالح إلى أن يستعمله الجيش حسب ظروف (كذا) وعليه إذا كان في الإمكان ابداله بما يصلح : صغرا . نوعا.

واستمر الحال على ذلك إلى غاية توقيف القتال في 19 مارس 1961 م حيث أطلق سراح الحاج خليل، ليتوجه بعد زيارة خفيفة للزاوية إلى ناحية امد وكال بضواحي بسكرة بعد أن دعي لحضور حفل أقيم بمناسبة توقيف القتال والتقى هناك بقادة الولاية السادسة وعلى رأسهم العقيد محمد شعباني والرائد عمر صخري والصاغ الثاني "نقيب" الطاهر لعجال والضابطان حسين الساسي ومحمد الطاهر خليفة وطرح عليهم فكرة مشروع لإقامة معهد للعلوم الإسلامية يتبناه جيش وجبهة التحرير ويكون مقره بالهامل فأبدوا قبولهم للفكرة ومواقفهم المطلقة على ذلك لاسيما العقيد شعباني.

واعترافا بما كان يقدمه الحاج الخليل في الثورة وصلته رسائل من المجاهدين يعبرون له فيها عن شكرهم وامتنانهم بما قدمه، فقد كتب السيد محمد الحاج أيضا رسالة يحييه فيها على روحه الوقادة، وعرب له عن وفائه له ولكافة الأسرة[1].

كما وصلته رسالة أخرى من الملازم الأول السياسي محمد الحاج بعد أن لاحت بشائر النصر في الأفق .

بقي الخليل بعد وقف إطلاق النار على اتصاله بالمجاهدين، وتواصلت بينهم المراسلات، فوصلته رسالة من المساعد أحمد دحماني عليها ختم القيادة العسكرية الولاية الرابعة المنطقة الخامسة الناحية الأولى القسمة الثالثة مؤرخة في مارس 1962 م يرجوا فيها لقاءه، وجاء فيها ما يلي:

[1]- وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 175

"الجمهورية الجزائرية. جبهة التحرير الوطني. جيش التحرير الوطني الجزائري. ولاية 4 منطقة 5 ناحية 1 قسم 3 .

إلى الأخ العربي سيدي الحاج خليل السلام والله عليك (كذا)، سلاما تاما خويا (كذا) وطنيا وبعد أيها الأخ العزيز فإذا كنت مخير نحنو (كذا) كيف ذلك (كذا) ولا يحصون (كذا) إلا الملفات (كذا) معك في ساعة سعيدة إن شاء الله أمين وبعد أيها الأخ تقرئ (كذا) السلام على جميع الإخوان نابعة من المجاهدين ومن المناضلين كل واحد باسمه سلاما كثيرا وترد لي بالجواب مع حامله وسلام تام . المساعد أحمد دحماني"[1].

كما وصلته رسالة من السيد زبير* باسم الحكومة المؤقتة عليها ختم الولاية الرابعة المنطقة الخامسة الناحية الأولى مؤرخة في 18 ماي 1962 م ورد فيها ما يلي:

إلى الأخ العزيز سي الحاج خليل أرفع لك سلاما حارا وتحية خالصة من أعماق القلب أخي العزيز إنني يسرني جدا بوصول رسالتك الميمونة وفرحت بها أشد الفرح فالحمد لله وبعد يا أخ إنني بلغت سؤالك إلى كافة الإخوة (كذا) وكذلك يبلغ لك السلام الحار ويتمناو (كذا) ملاقاتك وكذلك بلي الخاو (كذا) اتبع آثار الخونة وين انتهاء (كذا) ولا يخبرك وش راك اسمعت وتبلغ سلامنا إلى كافة الإخوة (كذا) بالولاية السادسة والمناضلين وجميع الأشراف.

وكتب إليه المساعد علي قوجيل* رسالة عليها ختم جيش التحرير الوطني الجزائري الولاية السادسة قيادة المنطقة الثالثة بتاريخ 19 جوان 1962 م وصفه فيها بالفولاذ المندفع والمحرك الكهربائي كناية على حيويته ونشاطه وجاء فيها:

" الجمهورية الجزائرية. جبهة التحرير الوطني الجزائري. جيش التحرير الوطني الجزائري. ولاية 6 منطقة 3 ناحية 1 قسمة 4.

الأخ الكريم خليل مسؤول هيئة التنوير سلاما قوميا صادقا وتحية شاملة سليمة.

---

[1]– وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 177.

*– السيد زبير: كان مسؤول في الولاية الرابعة الناحية الرابعة. شهادة المجاهد طيبي الطيب.

*– علي قوجيل: أصله من طولقة ولاية بسكرة، كان مساعد في المنطقة الثالثة.

وبالتالي يفرحنا وبوجه أكمل أن ابعث إليكم بهاته العجالة مطمئنين لكم فيها كل ما يهم بدائرة السؤال وظروفه، أن ذكرنا مواقفكم النضالية ومدى حلولها في أملنا المزدوج. لا تنسينا هاته الوضعية الحالة العملية المسترسلة التي من شأنها أن تزيد في مضموننا، أخي: تمسح الظروف اليوم بالمزيد من الجهود ... وأملنا مضاعفة كل ما من شأنه أن يزج بالمخلفات السود في هاوية اللانهاية. وقبل الختام تقبلوا أحر عواطفنا وصدق الأماني. والسلام أخوك مساعد القسمة الرابعة علي قوجيل"[1].

إضافة إلى كل الاتصالات بين الحاج الخليل والمجاهدين عن طريق الرسائل، فقد كان كثيرا ما يتم اللقاء بينهم سواء في الزاوية أو في بيته أو في مكان يتم الاتفاق عليه بعيدا عن أعين الاحتلال وعملائه، فهذه الرسالة من الملازم محمد كحللش* أحد الضباط المشاركين في معركة جبل ثامر التي وقعت يوم 28 مارس 1959 م، وقتل فيها العقيد سي الحواس والعقيد عميروش وكثير من المجاهدين، يعتذر فيها عن عدم تمكنه من الحضور للقائه وأبدى رغبته في ان يلتق قريبا، فقد جاء فيها:

"جبهة وجيش التحرير الوطني الجزائري الولاية السادسة المنطقة الرابعة الناحية الأولى قسمة الرابعة. إلى الأخ المواطن سي الحاج الخليل.

إليك من تحية العز والكرامة وبعد: لقد اتصل بي خبر قدومكم لنا للقاء مع بعضنا البعض ولم نتلاقى معا فمع الأسف (كذا) لان الظروف لم ت سمح لنا وإنني في القريب نتلاق (كذا) معا بحول الله وقوته . ختاما: سلاما يعم جميع الأخوة الذين قدموا معك . والسلام أخوك المساعد مسؤول القسمة الرابعة محمد كحللش".

كما ساهم الشيخ الخليل في الثورة إضافة إلى كل ما ذكرنا بفتحه منزله أمام المجاهدين، فقد كان بيته بالمقطع أحد أربع مراكز الاتصال والتموين للجيش في المنطقة.

---

[1]- الحاج خليل القاسمي: المصدر السابق، ص 87.

*- محمد كحللش: اسمه الحقيقي خليلي محمد بن البشير، كان عريف أول في سنة 1957 م، وبين 1957 م وحوالي 1960 م ترقى إلى درجة مساعد (مسؤول قسمة) المنطقة الرابعة، توفي في أوت 1974 م بحادث سيارة. حسب شهادة المجاهد طيبي الطيب.

إضافة إلى كل ما سبق ذكره عن مساهمة الحاج الخليل وهو ابن شيخ الزاوية وأحد القائمين على ادارتها، ثم شيخها فيما بعد، فقد كان للزاوية مساهمات أخرى لا تقل عنها أهمية، كاحتضانها لعدد من لقاءات المجاهدين من أجل تنظيم عملياتهم الثورية وجمع المؤن والأسلحة، وهذا حسب ما جاء في شهادة المجاهدين شريف خير الدين ودراجي كرميش*، كما كانت الزاوية تأوي أبناء المجاهدين وأبناء الشهداء وتعتني بهم، دون أن ننسى ما قام به الشيخ مصطفى من جمع للأموال والمساعدات لصالح الثورة، فقد ذكر لي المجاهد طيبي الطيب أن محمد شعباني أرسله إلى الشيخ مصطفى لإحضار مبلغ من المال فسلمه مليون فرنك.

وكما ذكر لي المجاهد الجموعي زميح* عند ذهابي إليه بأولاد جلال ولاية بسكرة، وحينما سألته عن علاقة زاوية الهامل بالثورة أجابني: شاركت مشاركة فعالة مئة بالمائة في الثورة منذ بدايتها إلى الاستقلال، وذكر أن سي الحواس كلفه بتموين الجيش بكمية من القمح قدرها 500 قنطار، وفي الطريق التقى بعاشور زيان الذي طلب منه أيضا 500 قنطار أخرى لوحداته من جيش التحرير[1].

فاتصل بالخليل القاسمي الذي توجه به إلى عمه الحسن القاسمي أخو شيخ الزاوية المصطفى القاسمي، فلبى هذا الأخير الطلب وجمع لهم ألف قنطار حملت إلى تواب* ومنه حملت على الشاحنات إلى أولاد أحمد* ثم إلى دار سي قويدر بعين العلق جنوب غرب عين الملح ومنها نقلت إلى الجيش وخزن بعضها في المطامر.

---

*- دراجي كرميش: من مواليد بوسعادة سنة 14 سبتمبر 1933 م، التحق بالثورة عام 1957 م وكان فدائي ثم جندي في 1958 م و1962 م، الولاية السادسة المنطقة الثالثة الناحية الأولى قسمة 54 والرتبة التي تقلدها أثناء الثورة عريف أول. أنظر: وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 179.

*- الملقب في الثورة بجموعي رحمان، كان مكلفا بالتموين من طرف العقيد سي الحواس، ولد عام 1915 م بأولاد رابح دائرة عين الملح- بوسعادة ولاية المسيلة، مازال على قيد الحياة إلا أنه يعاني مرض الربو، ويعيش حاليا بأولاد جلال. أنظر: وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 180.

[1]- وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 179-180.

*- تقع غرب الهامل وتبعد عنها بـ 12 كلم.

*- عرش من أعراش دائرة عين الملح.

المبحث الثالث: رد فعل السلطات الفرنسية من نشاط الزاوية

استطاعت زاوية الهامل أن تحافظ على وجودها رغم الفترات الحالكة التي مرت بها وبالمجتمع الجزائري كافة، كما استطاعت إلى جانب ذلك أن تحافظ على أصالتها وقيمها الوطنية الإسلامية، وظلت مرتبطة بالشعب تشاركه آماله آلامه وذلك بفضل حنكة شيوخها وحكمتهم وحسن تقديرهم للعواقب.

وكانت الفترة التي شهدت قيام الثورة الجزائرية من أعقد الفترات التي مرت بها الزاوية وأحرجها، فقد وجدت نفسها مدفوعة بدافع الواجب الوطني المقدس إلى المساهمة بكل طاقاتها في الثورة مع ضرورة المحافظة على وجودها بسبب أهمية ما تقدمه للشعب الجزائري، فكانت المسؤولية في التوفيق بين هذا وذاك كبيرة على عاتق شيوخها بتلك الفترة، وعلى رأسهم الشيخ مصطفى الذي تمكن بحنكته ودهائه من الخروج بزاويته سالمة من هذا الوضع دون أن يقصر فيما ترتب عليه من واجبات اتجاه الثورة.

فتكفل ابنه الحاج خليل بالعمل الثوري المباشر وتكفل هو بالإشراف عليه ودعمه ومساندته بشكل غير مباشر، مفوتا بذلك الفرصة على المستعمر في الانقضاض على زاويته والقضاء عليها بعدم إعطائهم مبرر لذلك، وبتفاديه لكل ما يقيم الحجة عليه فظل يتظاهر بعدم وجود أي علاقة بين زاويته والثورة محافظا على علاقة عادية بينه وبين الفرنسيين محاولا عدم لفت الانتباه لنشاطات الزاوية الداعمة للثورة[1].

لكن الشيخ قد كان محل مراقبة السلطات الاحتلالية حتى قبل اندلاع الثورة بسبب تخوفها من اتساع نفوذ زاويته، ولعلاقته بزعماء الحركة الوطنية آنذاك وعلى رأسهم السيد مصالي الحاج[2].

[1]- الحاج مزاري، المرجع السابق، ص 77.

[2]- عبد المنعم القاسم، المرجع السابق، ص 305.

ومن أجل مراقبة أنشطة الزاوية بشكل جيد فرضت عليه السلطات الاحتلالية إعارة قسم من أقسام الدراسة ليكون تابعا للمدرسة الفرنسية في القرية، وعينت معلما فرنسيا يقوم بالتدريس فيه، وهي مهمته الظاهرة بينما كانت مهمته الحقيقية قيامه بدور المخبر الأمني لكنه سرعان ما تعرض للقتل.

وبعد اندلاع الثورة أقامت السلطات الاحتلالية ثكنتين لجنودها، واحدة على مدخل الزاوية والأخرى بمدخل القرية، وقامت بتكثيف مراقبتها لتحركات الشيخ ولأنشطة الزاوية ورغم أنه كان يحيط تحركاته بحيطة بالغة وحذر تام إلا أن السلطات الاحتلالية، وبدعم شبكتها الاستخباراتية الواسعة، قد تسربت إليها شكوك فيما يخص تحركات الشيخ خاصة بعد أن اتضح لها علاقة ابنه الحاج خليل بالثورة، فقامت بسجن هذا الأخير ثم وضعته تحت الإقامة الجبرية لكنها لم تتعرض للشيخ مصطفى بأي سوء لافتقارها إلى أدلة تدينه ولعلمها أن أي مساس بالشيخ مصطفى دون حجة، قد ينجر عنه عواقب وخيمة لما يتمتع به من نفوذ بين جميع السكان، ولإحاطة زاويته بنوع من القدسية من طرف الناس[1].

وبقيت التقارير الأمنية الفرنسية تحذر من تحركات الشيخ مصطفى وتحث على تكثيف المراقبة على أنشطته، ومن ذلك ما جاء في تقرير شديد السرية تحت رقم 164 مؤرخ في 23 جوان 1958 م موقع في سور الغزلان، وموجه إلى رئيس مصلحة المعلومات العامة في المدية، موضوعه تحركات الشيخ مصطفى القاسمي وضرورة مراقبته عند ذهابه إلى العاصمة من أجل زيارة ابنه الحاج الخليل، وخلال نزوله في المدن الواقعة في طريقه وأمام تزايد تحركات الشيخ مصطفى وأنشطته وتحركات ابنه الخليل لجأت السلطات الاحتلالية بعد عدم تمكنها من إقامة دليل قوي يثبت تورط الزاوية بأنشطة داعمة للثورة مع علمها بوجود علاقة بين الزاوية وجيش التحرير إلى استعمال أساليب تتصف بالمكر والدهاء[2]، فقامت بمحاولة إغراء الشيخ مصطفى وابنه الشيخ الخليل بالألقاب والمناصب الإدارية الهامة لكنها فشلت في مسعاها هذا

[1]- الحاج خليل القاسمي: المصدر السابق، ص 86.

[2]- وفاء بن علية، المرجع السابق، ص 126.

مما دفع بها إلى اللجوء إلى أساليب أكثر منها دهاء حين كثف ضباطها ومسؤوليها من زياراتهم إلى الزاوية بمناسبة أو بدونها مظهرين الكثير من الود لشيوخها هادفين من وراء ذلك إلى تحقيق غايتين أساسيتين:

فمن جهة تلميع صورتهم واظهار أنفسهم بمظهر المحترم لعادات الأهالي المتفتح على جميع الأديان.

ومن جهة أخرى تشويه سمعة الزاوية والحط من قيمتها بتقليص حجم تأثيرها في الناس بما لا يخدم أهدافهم الاحتلالية ، وإشعال فتيل العداء بينها وبين جيش التحرير.

لكن اخلاص القائمين على إدارة الزاوية لم يكن ليخفى على أفراد جيش التحرير وكافة أفراد الشعب وهم الذين خبروا مواقفها منذ أيام المقاومة الشعبية، وعرفوا عن كثب إخلاص شيوخها وصدق نواياهم، فباءت محاولات الاحتلال بالفشل وظل الشعب ملتفا حول الزاوية وشيوخها، كما ظلت الزاوية سندا قويا للثورة والمجاهدين[1].

[1]– وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 192.

الفصل الثالث: دور زاوية الهامل في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية

المبحث الأول: الدين واللغة

المبحث الثاني: الهوية الوطنية

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

الفصل الثالث: دور زاوية الهامل في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية

المبحث الأول: الدين واللغة

كانت غاية الزاوية منذ البداية هو الحفاظ على الدين الإسلامي لذلك منذ تأسيس هذه الزاوية من قبل الشيخ سيدي محمد أبي القاسم الهاملي، نشر الإسلام باللسان والقلم وقد قام بإصلاح المجتمع الجزائري المضطهد من قبل المستعمر الفرنسي عن طريق القرآن والسنة فأولى أحفاد محمد بن أبي القاسم الهاملي عناية خاصة بتحفيظ القرآن الكريم وقد كان لكل أسرة معلم قرأن خاص يقوم بتعليم الأبناء والأتباع ونجد من بين هؤلاء الأعلام ما يلي:

- السيدة زينب القاسمية.
- الشيخ محمد المكي بن عزوز البرجي.
- الشيخ عاشور الحنفي.
- الشيخ عبد العزيز بن أحمد الفاطمي.
- الشيخ الحاج بن السنوسي الديسي.
- الشيخ عبد الحفيظ القاسمي الحسني[1].

أ- تحفيظ القران الكريم: من المهام الأساسية التي قامت بها الزوايا في مختلف أصقاع العالم الإسلامي الحفاظ على القران الكريم والسنة النبوية، يقول أحد الباحثين: لقد كان لزوايا العلم والمعرفة المكانة الكبيرة في الحفاظ على القران والسنة النبوية فلا تخلو حاضرة أو قرية أو تجمع ريفي إلا وفيه للعلم والمعرفة زاوية مشهورة تتولى القيام بهذه المهمة[2]

ولم تكن تشذ القاسمية عن مثيلاتها من الزاويا، فقد عملت على حفظ القرآن ونشره، وتخرج منها اعداد هائلة في معظم نواحي القطر الجزائري ولو كان دورها في الحفاظ على القران الكريم وحفظه في صدور المسلمين كتابة ورسما وتلاوة وتجويدا فقط لكفاها ذلك فخرا وشرفا وعزا.

---

[1]- الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 47.

[2]- وفاء بن علية: المرجع السابق، ص 147.

وحفظ القران الكريم هو شكل من أشكال المقاومة الثقافية في عهد الاحتلال فقد جاء في اول تقرير أرسله الكاردينال لافيجري La Vigerie ما يلي: إن إدخال الأهالي إلى الديانة المسيحية واجب مقدس، فأول ما يجب عمله معهم هو الحيلولة بينهم وبين القران وينبغي علينا أن نهتم بالصبيان، فندخل في عقولهم تعاليم جديدة ألا وهي تعاليم الإنجيل[1].

ويقول الأستاذ مؤيد العقبي: "ولولا القرآن الكريم ما بقيت اللغة العربية في الجزائر بعد احتلالها قرنا أو اكثر من ثلاثين سنة، حوربت فيها اللغة العربية، وأغلقت مدارسها ومنع استعمالها، وعذب أصحابها وسجنوا وطردوا من البلاد لأنها لغة الإسلام ولغة القرآن ولسان الأمة[2].

وكان القرآن العظيم هو أول ما يتلقى المبتدئ، ولا يجلس الطالب في حلقة العلم الا وبعد استظهار القرآن العظيم كله أو نصفه، وبعدان يستكمل الطالب حفظ القران الكريم، ينتقل إلى تلقي مختلف العلوم الشرعية، فيمكن له الالتحاق بحلقة الفقه أو اللغة أو التفسير طبعا مع احترام البرامج والنظام المطبق داخل الزاوية، وهذا المنهج هو نفسه الذي طبقه الشيخ محمد بن أبي القاسم فيما بعد على طلبته بالهامل، فلم يكن يسمح لهم بحضور حلقات الفقه والتفسير والحديث إذا لم ينموا حفظ القرآن الكريم[3]. وهي الطريقة المتفق عليها عند سكان المغرب العربي وإفريقيا عموما، فقد أكد ابن خلدون ما يلي: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القران فقط واخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله، واختلاف من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلا أن يحذفه فيه أو ينقطع دونه[4].

وطريقة حفظه هي الطريقة المعروفة في كامل المغرب العربي بواسطة اللوحة وهي قطعة خشبية صغيرة والقلم مصنوع من القصب المحلي الموجود على ضفاف الأودية وحجرة

---

[1]- المهدي البوعدلي: الاحتلال الفرنسي للجزائر مقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الأصالة، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية الجزائري، عدد 03، عام 1972، ص 312.

[2]- صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002، ص 300.

[3]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 194.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، دار العودة، بيروت، د. ت، ص 448.

الصلصال وهو نوع من الطين والتي تمحى بها اللوحة عند حفظ الآيات المكتوبة والصمغ: المصنوع من الصوف التقليدي المحروق مع قليل من الماء.

ركز الشيخ محمد جل اهتمامه على تحفيظ القرآن الكريم واستغل علومه ومعارفه في هذا الباب فقد حفظ القرآن على يد أبرز معلمي القرآن الكريم في المنطقة ابن عم له "محمد بن عبد القادر" وازداد معرفة به في زاوية سيدي علي الطيار على يد الشيخ الصادق، ولم يشغل نفسه في هذه المرحلة بغير القرآن الكريم، ولما اتقنه التفت إلى بقية الفروع[1].

إذ يعتبر أيضا القران الكريم مدار فلك التعليم في الزوايا عموما، ولا يوجد علم يدرس فيه إلا وله ارتباط وثيق به، فهو المبدأ وهو الغاية، وقد أرينا في ترجمة الشيخ المؤسس انه حفظ القرآن الكريم في سن الثالثة عشر، والامر نفسه بالنسبة للشيخ المؤسس أنه حفظ القرآن الكريم في سن الثالثة عشر، والأمر نفسه بالنسبة للشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي الذي لم يثنه فقد البصر عن حفظ القرآن الكريم، ولا توجد ترجمة لعلم من اعلام الزاوية أو غيرهم الا وحفظ القرآن وهي اول محطة يمر بها قبل ان يتحول إلى دراسة العلوم الشرعية، وحين توقفت الزوايا عن أدوارها التعليمية وتوقف نشاطها تقريبا ولم تتخل عن تحفيظ القرآن الكريم[2].

ويعتبر حفظ القرآن الكريم شرطا في التحاق الطالب بحلقات العلم الشرعي ولم يتغير الأمر إلا في زمن الخليل القاسمي الذي سمح لم أتم حفظ نصف القرآن الكريم بالالتحاق بقسم أصول الدين، بعد تأسيس المعهد القاسمي بتوصية من جبهة التحرير الوطني وقد كان الشيخ المؤسس قد استصلح بساتين على مجرى وادي الهامل وبنى فيها بيوتا وجعل في كل بيت مجموعة من الطلبة لقران الكريم صباحا ومساءا، فالمار على الوادي لا ينقطع عن سماع القرآن الكريم في ذهابه وإيابه. وقد عرف الجزائريون أكثر من غيرهم الوقف على قراءة القران، وهو أن

[1]– محمد بن المختار العلواني: المرجع السابق، ص 148.

[2]– محمد بن الحاج محمد: المرجع السابق، ص 56.

يقف المسلم دارا أو بستانا على مجموعة من طلبة القرآن يأخذون أجرتهم من الوقف مقابل قراءة القرآن يوميا في المسجد[1].

وقد كان بن عزوز البرجي شيخ زاوية البرج ببسكرة وزاوية نفطة بتونس قد حبس نخيلا على قراءة القران ثم تعرض الوقف للبيع فاشتراه الشيخ محمد بن أبي القاسم وزاد فيه ووقفه على روح شيخه في الطريقة الشيخ بن عزوز[2].

وبهذا تكون الزاوية قد اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال والكبار ونشرته بصورة مكثفة ومتواصلة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة، وساعد ذلك على محو الامية من جهة، والحفاظ على شخصية الجزائري المسلم من جهة بعقيدته وديانته الصحيحة، وحماية القرآن الكريم من النسيان والاندثار من جهة اخرى، فكان أغلب الناس كبارا وصغارا يحفظونه كله أو جله أو بعض أجزاءه عن ظهر قلب على عكس ما هو حاصل اليوم وكان معظم الناس في القرى والمداشر، في الأرياف والمدن يحفظونه ويطبقون تعاليمه الدينية خاصة ما يتعلق بالسلوك والأخلاق العامة الشخصية والجماعية[3].

وقد سعت الزاوية في البحث عن مرجعية دينية يلجأ إليها الجزائريون ممثلة في الائمة والدعاة والقضاة الذين تخرجوا من الزاوية وتولوا مهمة الفتوى والإصلاح في أوساط الجزائريين، بحيث تكون هذه المرجعية ذات تكوين ديني عال ويكون ولائها للوطن ولا للمناصب الإدارية، وهذه المرجعية تحتل مكانة خاصة في الوعي الجماعي للمسلمين وتمثلت في العهد العثماني في كبار العلماء وشيوخ الزوايا، وتجسدت في شخص شيخ الإسلام من امثال ابن العنابي ومحمد الفكون[4].

وقد تعرضت المرجعيات الدينية إلى حملة بين التشويه والتضييق والنفي، مما أجبر الكثيرين منهم على مغادرة الجزائر، وقد خلت الساحة الدينية من العلماء الذين يوثق بعلمهم

[1]- محمد نسيب: الزوايا العلمية بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د. ت، ص 162.

[2]- محمد بن الحاج: المرجع السابق، ص 56.

[3]- يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ج01، ص 236-239.

[4]- مقابلة مع الشيخ جوبر، أحد معمري طلبة الزاوية، بتاريخ: 2017/11/08.

ودينهم، ولم يعد للجزائريين مرجعية موحدة كما هو الحال بالنسبة للزيتونة في تونس أو القرويين، في المغرب او الأزهر الشريف في مصر[1].

وسواء كانت المرجعية روحية أو علمية، فإن لها في المخيلة الجماعية للمسلمين مكانة خاصة تصل حد التقديس، وهي تمثل القدوة او النموذج المثالي الذي يسعى كل فرد للاقتداء به والاستعداد من علمه وبركته، ويظهر من الألقاب التي أصبغت على شيوخ التصوف المكانة التي يحتلها هؤلاء في قلوب المريدين والأتباع[2].

ونجد في تعريف الحفناوي لشيخ الزاوية لشيخ زاوية الهامل تصويرا صادقا للألقاب التي كانت تصاغ على المرجعيات الدينية أنداك حيث يقول: "سيدنا شيخ الإسلام، مقتدى الأولياء العظام، علم الهدى الذي انتمي إليه كان من السعدا، القطب الرباني والفرد الجامع الصمداني، شيخ المالكية شرقا وغربا قدوة السالكين عربا وعجما، مربي المريدين وكهف السائلين")[3].

وفي ترجمة الأمير عبد القادر يقول "هو الإمام الأوحد والعلم الفرد، العارف بالله ،والتقي الأواه، عالم الأمراء وأمير العلماء، الأمير الخطيب عبد القادر بن محي الدين[4]. وفي ترجمة للشيخ مصطفى الرماصي يقول :"العلامة المتفنن المحقق والجهيد المدقق، من أنعنت له في وقته الأقران ولم يختلف في فضله وسعة علمه اثنان، ويزاحم على بنات فكره، وعرائس سره ذ، الداني من أهل العلم والقاضي الشيخ الإمام القدوة سيدي مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي"[5].

ويرى أبو القاسم سعد الله أن الكتاب غص بالكثير من المبالغات السخيفة[6]، والذي يهم الباحث هو المكانة الروحية والدور الذي أدته المرجعيات الدينية في الحفاظ على هوية الجزائري

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج04، ص 350.

[2]- الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص 205.

[3]- المرجع نفسه: ص 345.

[4]- الحفناوي: المرجع السابق، ص 578.

[5]- سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، ص 220.

[6]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 329.

المسلم، سواء على المستوى التنشئة الاجتماعية أو على الضبط الاجتماعي بما تملكه من قوة تأثير في الأفراد والجماعات.

وقد ساهمت الزاوية ممثلة في شيوخها، وهم نتاج التعليم فيها، إلى إيجاد مرجعية دينية على المستوى المحلي والمستوى المغاربي، أما على المستوى المحلي فقد ساهم شيوخها في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في نادي الترقي بالعاصمة سنة 1931 م، ومن بعدها جمعية أنصار السنة للمولود الحافظي، من السنة نفسها، كما ساهمت الزاوية في تأسيس "جامعة أولاد نائل"، وتولى مصطفى القاسمي رئاستها، وكان من مبادئها التعاون والأخوة والمقاومة لكل الأفكار المنحرفة والضالة وعدم السماح لها بالتوغل في أوساط الشعب والطبقات الشعبية ومساعدة الطبقات الفقيرة والكادحة والرفع من مستواها.

وكان للزاوية – ممثلة في شيخها مصطفى القاسمي– دور في تأسيس اتحاد الطرق الصوفية بالشمال الإفريقي سنة 1937 م، وتم تعيينه رئيسا لهذا الاتحاد[1]. وكل هذه الجمعيات تمثل المرجعية الدينية والروحية العلمية في الجزائر مهما بدا بينها منى خلاف فكري أو سياسي، لكنها جميعا تتبوأ مكانة خاصة في قلوب الجزائريين هذا على المستوى الجماعي، أما على المستوى المرجعية الفردية فإن تقرير والي العاصمة إلى الحاكم العسكري في الجزائر تبين المكانة التي وصل إليها الشيخ المؤسس في قلوب الجزائريين، حتى أصبح "خطرا على الخزينة العامة".

كما يقول الوالي، وذلك من كثرة الهبات التي كان الناس يترقبون بها إليه، وقد أوصى التقرير بطرده من العاصمة وتحديد الأماكن التي يمر بها في طريقه من العاصمة إلى الهامل، وكذا المدة التي عليه أن يقضيها في كل محطة من محطاته[2].

وأما على المستوى المحلي فقد خرجت الزاوية الكثير من العلماء الذين مثلوا المرجعية الدينية والاجتماعية في المنطقة.

---

[1]– الملحق 11.

[2]– مقابلة مع شيخ الزاوية، المأمون القاسمي، المصدر السابق.

ب- اللغة: اللغة العربية في الأساس لفهم مصادر الشريعة الإسلامية ممثلة في الكتاب والسنة النبوية المطهرة وهي شرط في الاجتهاد الذي يعني القدرة على استنباط أحكام الشريعة الإسلامية من مقامها الأصلية.

وتبين لنا رسالة المكي القاسمي- وهو من طلبة الزاوية - مدى الاهتمام الذي أولته الزاوية للغة العربية، حين يعدد الكتب التي درسها بنفسه على محمد بن عبد الرحمان الديسي وهي: الأجرومية بشرح الشيخ خالد، وحاشيته ابي النجا وشرح المعاني وهو شرح مبسط وشرح الباكورة والأزهرية، شرح الأزهري وحاشية العطار والأمير، القطر، شرح المصنف والفاكهي والشذور شرحه للمصنف، الألفية، شرح المكودي والصيوتي، الملحة، شرح بحرف الكافية، شرح الجامي، التسهيل، شرح الإمامين متن الشبراوي، متن العطار، نظم الأجرومية، شرح البيجوري، شرح الجمل من نظم الأستاذ متن البناء، لامية الافعال، الشرح بحرف الكبير، العزي، شرح السعد التصريف بشرح البيجوري- رسالة الدردير... شرح بديعية العميان لرعيني قواعد اللغة العربية للمدارس انوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع الكافي في العروض والقوافي الخزرجية بالشرح شيخ الإسلام زكريا ابن كيران[1].

والرسالة تعطينا نبذة عن كتب اللغة التي كانت مقررة في الزاوية، وقد رطبها بحسب اهميتها لا بحسب البرنامج المقرر في الزاوية والا فإن الطالب يحفظ متن الاجرومية ثم يتدرج بين كتب اللغة كالقطر الألفية والأمية وغيرها وليس العكس[2].

وفي رسالة بن عزوز القاسمي وهو احد طلبة الزاوية وعلماءها تعداد لكتب اللغة التي درسها بالزاوية وهي: الاجرومية ثم الأزهرية فالألفية والجوهرة[3].

غير ان المقارنة بين الرسالتين - رسالة المكي المكي، ورسالة الشيخ بن عزوز - تبين ان الطالب لا يمكنه الإلمام بكل هذه الكتب إلا بالانقطاع التام بالدراسة اما الطلبة الذين

---

[1]- رسالة المكي القاسمي: المرجع السابق، الملحق 12.

[2]- من وثيقة بخط الشيخ بن عزوزو القاسمي، الملحق 13.

[3]- محمد فؤاد القاسمي: التعليم في الزاوية، المرجع السابق، ص 08.

يغادرون الزاوية في مواسم الدراسة قد لا ستطيعون على الاهتمام البالغ الذي أولته الزاوية للغة العربية.

بالإضافة إلى ذلك فقد عرف أبناء الزاوية الشعراء والأدباء وأصدر طلبة الزاوية مجلة ادبية هي مجلة الروح (1948)، تهتم بالشعر والنثر ونشر التراث الجزائري[1].

[1]– مقابلة مع الشيخ أبي الأنوار دحية، أمين المكتبة، المصدر السابق.

المبحث الثاني: الهوية الوطنية

تهدف زاوية الهامل على تماسك المجتمع الجزائري ووحدته حيث كانت تجتمع بالزاوية مختلف الأعراش والقبائل من مناطق مختلفة، فتنمحي بذلك الفوارق الجهوية حيث كانت تهدف بذلك إلى:

أ- المحافظة على المرجعية الثقافية للمجتمع الجزائري: ممثلة في العقيدة الأشعرية والفقه المالكي، وطريقة الجند السالك في التصوف: تمثل المقدمة التي باب ها الشيخ محمد بن الحاج محمد كتابه الزهر الباسم[1]، تصويرا للمرجعية التي تستند عليها الزاوية وتعمل على الحفاظ عليها، والتي عبر عنها بقوله: وبعد فيقول: أفقر العبيد إلى مولاعه واوجلهم إليه من عظيم كسب وخطايا، محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي الجزائري الخلوتي الأشعري المالكي".

وفي تعريفه بنسب المؤسس وهو عمه، يقول أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم – بن المنصور الشريف الحسني نسبا المالكي مذهبا الأشعري اعتقادا[2]، والمتصفح لقائمة الكتب المقررة في الزاوية، يلاحظ ذلك التركيز على الفقه المالكي بدأ من المرشد المعين لابن عاشر إلى مختصر خليل الذي يختم كل عام في فصل الشتاء، من طرف شيوخ الزاوية في المسجد العتيق الذي كان الشيخ المؤسس يلقي به دروسه قبل الانتقال إلى الزاوية الحالية وإذا كان الفقه يمثل نسبة 36.52 % من مجموع كتب المكتبة القاسمية[3].

فإن الفقه المالكي يمثل نسبة 100 % من المقرر الدراسي وحتى الكتب التي تناولت الفقه المقارن في الأصل لعلماء مالكيين "كبداية المجتهد ونهاية المقتصد" لابن رشد المالكي. وأما العقيدة الاشعرية فقد اختير لها كتب من امثال الإمام السنوسي، وكتاب جوهرة التوحيد

[1]- عبد الحميد مرسي: نشأة الأشعرية وتطورها دار الكتاب اللبناني، ط01، بيروت، لبنان، 1975، ص 320.

[2]- محمد بن الحاج محمد: المرجع السابق، ص 02.

[3]- نفسه، ص 03.

للإمام مع شرح ابنه عبد السلام لها والعقائد النفسية بالشرح السعد التفتزاني وكل هؤلاء من علوم الأشعرية[1].

ب- صيانة مكونات الشخصية الوطنية ممثلة في الإسلام والعربية والانتماء للوطن: وذلك من الحملات التي قادها المؤرخون الفرنسيون لتشكيك في وطن اسمه الجزائر عبر كل حقب التاريخ وهو المنحنى الذي صار عليه دعاة الاندماج لاحقا وقد اهتم شيوخ الزاوية بالتاريخ الإسلامي العام، وتاريخ الجزائر الخاص وكذلك التاريخ والسيرة النبوية ومن بين المواد التي تدرس لطلبة وعوام الناس[2].

والهدف من ذلك تذكير الجزائريين بما فيهم وأمجادهم وصيانتهم من الاندماج في المجتمع الفرنسي.

ج- الرد على حركة التنصير: هدفت الحركة التبشيرية القضاء على الدين الإسلامي وتشويهه والتشكيك فيه وصرف الأهالي عنه تحضيرا لتنصيرهم، وتعتبر المرحلة التي أسست فيها الزاوية من أخطر الفترات التي أستفحل فيها نشاطها 1867-1892[3].

حيث قاد المبشر لافيجري Charles Allemand Lavigerie أشرس عملية تبشيرية كان من أهدافها صرف المسلمين عن دينهم وإحلال المسيحية بدلا عن الإسلام مستغلا من المجاعات التي ضربت الجزائر وأحدثت الكثير من المآسي التي نتج عنها تشرد الآلاف من الأطفال وأضطر الكثير من الأهالي للجوء إلى الكنائس والبعثات الإرسالية التي كانت تقدم الخبر بيد والصليب باليد الاخرى[4].

ورغم ان التركيز كان على منطقة القبائل إلا أن الأخوات والآباء البيض أنشأوا مراكز في المناطق الصحراوية كانت تتبنى الأطفال ممن فقدوا أباءهم أو ممن يحتاجون إلى الرعاية بسبب فقر عائلاتهم، ولذلك كله أسسه لافيجري للعمل التبشيري في الجزائر متحديا أحيانا حتى

---

[1]- مقابلة مع شيخ الزاوية المأمون القاسمي، المصدر السابق.

[2]- عبد الحميد مرسي، المرجع السابق، ص 375.

[3]- نفسه، ص 342.

[4]- محمد يحيى حزرلي: العلامة الشيخ الربيع بن عطبة حزرلي، دار الحكمة ، الجزائر، 2005، ص 34.

تحفظات وردود أفعال بعض الحكام العامين على نشاطه التبشيري المثير فأنشأ ملاجئ للأيتام والفقراء، وتجاوزت جهوده العمل الفردي إلى عمل تبشيري جماعي ومؤسسي، من ذلك تأسسه مؤسسة القديس أوغسطين Saint Augustin، ومؤسسات جمعية الآباء البيض Les Peres Blanches والأخوات البيض Les Soueurs Blanches وجمعية الإخوة المسلحين في الصحراء والمنيعة وميزان[1]. ويمثل العمل الخيري الوسيلة الناجعة للوصول إلى الفقراء و"البحث عن الله في خدمة الأخرين" وهو الشعار الذي تبنته الإرساليات التبشيرية في الجزائر[2].

وفي مقابل كل هذا العمل الاجتماعي التبشيري، كان لزاما أن توجد مؤسسة اجتماعيةّ أهلية تقوم بإيواء الفقراء والمساكين ورعاية الأيتام وتوفير أدنى حد من التعليم الديني الذي يمكن أن يقي الجزائريين من تغيير دينهم ولذلك فإن أعداد الذين كانت الزاوية تأويهم وتقدم لهم المساعدات وتسهر على تربيتهم، يمكن أن يساعدنا في فهم الغاية التي أسست من أجلها الزاوية، فقد جاء في الزهر الباسم أن عدد هؤلاء يبلغ الألف على الدوام. ولعل في العدد بعض المبالغة، لكنه يدل على أن أعداد يقصدون الزاوية كبيرة جداّ، وربما دخل فيها طلبة الزاوية وهم بالمئات[3].

وعلى العموم فإن التأثير التبشيري في منطقة بوسعادة لم يكن كبيرا ولم تعرف المنطقة ما عرفته مناطق اخرى من إنشاء المدارس اليسوعية أو اعتناق بعض الأهالي للمسيحية، كل ذلك يعود إلى النشاط الاجتماعي الذي كانت الزاوية تقوم به في مواجهة التبشير.

د- بناء الخلق الاجتماعي: من أهم الأدوار التي قامت بها الزوايا في العالم الإسلامي، هيّ إعداد وتكوين الفرد الصالح لبناء مجتمع صالح ذو شخصية عربية مسلمة، فأول اهتمامات الزاوية بناء الخلق الاجتماعي السليم، حيث أنه يطبع الفرد بالسلوك الكريم، ويعمل على أحياء الضمير والشعور بالمسؤولية، ومحاسبة النفس ومراقبة الله سبحانه وتعالى على الدوام، ومن

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، 1860-1900، المرجع السابق، ج01، ص 75.

[2]- خواجة عبد العزيز وداوود عمر: مؤسسة الآباء البيض، الفضاء الديني والاقتراب المجتمعي، الملتقى الوطني حول المؤسسة الدينية، الأشكال والوظائف، 24/23 ماي 2011، جامعة معسكر، ص 04.

[3]- محمد بن الحاج محمد: المرجع السابق، ص 56-57.

أخطر الأمراض التي تعرفها المجتمعات المعاصرة الانحلال الخلقي، وهو من أكبر عوامل إعاقة نمو الحياة الاجتماعية وتقدمها، والذي يرجع السبب فيه – كما يذهب إلى ذلك معظم علماء الاجتماع – إلى نقص التربية الروحية[1].

وقد كان لزاوية الهامل التأثير البعيد في هذا المجال تحديدا إذ سعت إلى تكوين اتباعها ومريديها تكوينا أخلاقيا عاليا، وتلبية حاجياتهم الروحية والدينية، ليكونوا على مستوى التغيير الذي تنشده الزاوية[2].

وتسعى الزاوية إلى مساعدة المريدين على المشاركة في الحياة العامة، والتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه، ورعاية شؤونه وحل مشاكله، وكانت الزاوية توفر تلك الحاجات الأساسية التي تتطلبها الحياة الروحية للفرد الجزائري، هذا الاحترام المتبادل بين أتباع الطريقة، التقدير الذي يكنه المريدون لشيخهم، هذا التواصل، تسوده مشاعر المحبة والإيثار، فالزاوية هي محور الحياة الاجتماعية والدينية والروحية، وعليها مدار التصرفات والمعاملات فالعلاقات تنشأ من الزاوية، وتنطلق من الزاوية وتعمل على تقوية هذه الروابط[3].

هـ- توفير تعليم عربي يكون في متناول كل الجزائريين: أساسه القران الكريم واللغة العربية وعلوم الشريعة، في مقابل التعليم الفرنسي الرامي لمسخ شخصية الجزائري، وإبعاده عن تاريخه ومقومات الشخصية دون الارتقاء به إلى مصاف المجتمع الفرنسي[4]. ولما كانت المدرسة أساس التعليم ومنفذ تشكيل الهوية الحضارية[5]. فإن استهدافها كان من أوليات المخطط الاستعماري الهادف إلى القضاء على النظام التعليمي التقليدي بما يحمله من هوية إسلامية وانتماء عربي وارتكاز على المكون الديني، كأهم عنصر من عناصر الهوية الوطنية، ورغم محاولات الرفض

---

[1]- منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط01، 1997، ص 254.

[2]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 315.

[3]- نفسه، ص 318.

[4]- مقابلة مع الشيخ جوبر، أحد معمري طلبة الزاوية، المصدر السابق.

[5]- الطاهر سعود: الجذور التاريخية والإيديولوجية للحركة الإسلامية في الجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع والتربية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010، ص 170.

التي أبداها المعمرون اتجاه كل مشاريع التعليم في الجزائر، إلا ان الإدارة الفرنسية كانت ترى في تعليم الأهالي وسيلة للسيطرة عليهم وليس تحديثهم أو إلحاقهم بركب الحضارة، ولذلك ظهرت المدارس الفرنسية –العربية بهدف تكوين طبقة من الإداريين ليلعبوا دور الوساطة بين الإدارة والسكان

وكان من تبعاتها ظهور نخبة من المثقفين الجزائريين نادت بالاندماج في فرنسا وأنكرت كل وجود لهذا الشعب على أرضه[1]. وكانت سببا في الاستقطاب الذي لا زالت تبعاته الفكرية والسياسية قائمة إلى اليوم، وعلى الرغم من الفرق الشاسع بين عدد السكان الأصلين والمعمرين الوافدين إلا أن الإحصائيات تبين أن خط الجزائريين من التعليم كان ضئيلا، وهذا في المراحل الابتدائية، وهو يتناقص تدريجيا في الثانوي ويكاد ينعدم في التعليم العالي[2].

السنـــــــــة	عدد التلاميـــذ	النسبـــــــــة %
1872	3172	% 0.62
1883	4095	% 0.77
1886	7341	% 1.37
1887	9064	% 1.69

جدول رقم (01): يبين نسبة الأطفال المتمدرسين في الجزائر في نهاية القرن 19

فإذا كانت هي الوضعية التي أل إليها التعليم في الجزائر في نهاية القرن، ونظرا غلى عدد المتمدرسين في الزاوية، وهم بالمئات، يظهر جليا الدور الذي قامت به الزاوية كمؤسسة تربوية استوعبت أعداد الجزائريين اللذين لم تتح لهم فرصة التعليم الرسمي خاصة في المناطق الداخلية، كالقرى والمداشر وملأن الفراغ التعليمي في المنطقة المحيطة بها[3].

[1]– عمار هلال، المرجع السابق، ص 122.

[2]– نفسه، ص 128.

[3]– من الوثائق الموجودة بالمكتبة القاسمية.

و- **ضمان استمرارية التعليم العربي في الجزائر**: وذلك بعد توقف المدارس والمساجد والزوايا عن أداء دورها، بسبب ما تعرضت له من تصنيف ومصادرة وتدمير، هذا في الحواضر والمدن اما المناطق الصحراوية لمنطقة الهامل فقد لعبت الزاوية دور الحفاظ على التعليم واستمراريته، واستقبلت الطلبة الذين لم يجدوا مكانا في المدارس الفرنسية لانعدامها ولم يستطيعوا السفر إلى أماكن أخرى لطلب العلم، ويستنتج من السلوك الذي سلكه الشيخ المؤسس بمجرد وصوله إلى قرية الهامل انه كان يريد تأسيس مدرسة لتعليم أكثر من نيته في بناء زاوية[1]. وقد كان بناء المسجد على هيئة قاعات الدرس وتوسعته فيما يعد دليلا على أنه لم يكن للصلاة فحسب، بل كان مدرجا علميا تلقى فيه الدروس العلمية من قسم أصول الدين.

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 554.

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

ساهمت زاوية الهامل القاسمية من خلال مختلف الأنشطة في الحفاظ على عادات وتقاليد سكان المنطقة، بشكل خاص والمجتمع الجزائري بشكل عام، فقد امتاز المجتمع الجزائري بشدة تماسكه وتأزره، خاصة في مواجهة الأزمات.

1- التويزة: وهي فعل جماعي مشترك يهدف إلى إنجاز عمل اجتماعي وإنساني لفائدة الشخص أو الجماعة، أو هي تعاون كافة أفراد المجتمع في القيام بأعمال ذات منفعة عامة، دون مقابل، تطبيقا لقوله تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" (سورة المائدة الآية 02)، وهي أكثر أشكال التضامن القروي شهرة وهي كثيرا ما تجد الفرصة للظهور في أراضي الأوقاف"[1]. من هذه الأعمال: الاشتراك في الحصاد، أو ترميم وإعادة بناء السدود أو بناء المساجد والزوايا، وكان يتم الإعلان عن موعد إقامة التويزة بمسجد الزاوية عقب الصلوات الخمس، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزاوية نفسها بنيت واستكملت أغلب مرافقها بواسطة أعمال التويزة، حتى كتب الشيخ رسالة في جواز الافطار في رمضان لأعمال التويزة[2].

ولخطورة التويزة وأهميتها في الحياة الاجتماعية فقد زادت سلطات الاحتلال منع هذه العادة ومعاقبة كل من يقوم بها فقدرت المكاتب العربية سنة 1863 م إلغاء عادة التويزة لما سببته من خسائر للاقتصاد[3]، لكن ظلت الزاوية القاسمية تعمل بهذا النظام غير أبهة بأوامر سلطات الاحتلال.

2- الاحتفالات الخاصة بموسم الحج: كانت الزاوية تسهر على توفير المال لبعض الحجاج وقد كلفت الشيخ عبد العزيز الفاطمي بمرافقة الحجاج من الهامل إلى البقاع المقدسة وكان الحج يتطلب أموالا باهضة، وتكاليف مرتفعة وينطلق ركب الحجاج من الزاوية بعد توديعهم للشيخ الذين يطلبون منه الدعاء لهم وتيسير حجهم، وعند عودتهم أول ما كان ينزلونه به هو

---

[1]- د. نور الدين زمام: السلطة الحاكمة والخيارات التنموية في المجتمع الجزائري، 1962-1998، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط01، 2002، ص 19.

[2]- الشيخ محمد بن أبي القاسمي: رسالة في جواز الإفطار في التويزة، من مخطوطات المكتبة القاسمية.

[3]- المرجع نفسه، مخطوطات الزاوية القاسمية.

مقر الزاوية حيث يسلمون على الشيخ ويتبركون به، ثم ينطلقون إلى أهاليهم وهي عادة لا تزال موجودة إلى يومنا هذا.

جاء في تقرير لسلطات الاحتلال في مختلف المناسبات والأعياد الدينية وتأتي كذلك أعداد كثيرة من الزوار والمريدين من بعيد لحضور الاحتفالات بعيد الفطر، عيد الأضحى[1].

3- رعاية الأيتام والأرامل: نتج عن الحروب التي حدثت في الجزائر طيلة المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي تشريد العديد من العائلات وتدمير الملكية الفردية مما ضاعف من عدد الفقراء والمتشردين وزيادة أعداد الأيتام الذين وجدوا في الزوايا ملجأ لهم بل أن بعض هؤلاء لم يكن ممن فقد والديه أوّ أحدهم بل دفعت الظروف والديه إلى وضعه أمام باب الزاوية ليقينهم بأنه المكان الآمن له، ولم تكن الحروب سببا وحيدا في كثرة الأيتام والأرامل بل كانت المجاعات التي ضربت الجزائر خاصة ،سببا ثانيا زاد من معاناة الجزائريين[2].

ورغم ان المنطقة عرفت الكثير من أصحاب المال والجاه من أبنائها الذين كانت لهم القدرة على تقديم المساعدة، إلا أن الفقراء والمساكين وجدوا في الزاوية الملاذ الآمن أين كانوا يحسون بالجو العائلي الذي يغمرهم به شيخ الزاوية جميعا من كل الأعمار، أطفالا بؤساء عراة، أمهات تظهر عليهن مظاهر الفقر، وشيوخا جالسين على تل صغير، هذا هو الجو العائلي بالنسبة للأسر التي تطلب الصدقة في المكان الكريم[3].

وصف الشيخ محمد ابن عبد الرحمان الديسي مدى اهتمام الزاوية بالأيتام والفقراء والمساكين بقوله: "كانت الزاوية محلا للفقراء الغرباء والمساكين والأرامل والأيتام والزوار والطلبة وكان مبلغ الذين يمونهم – أي شيخ الزاوية – على الدوام وهم في حكم العائلة نحو الألف نفس!"[4].

---

[1]- الشيخ محمد بن أبي القاسم، المرجع السابق، من مخطوطات المكتبة القاسمية.

[2]- حول المجاعات التي ضربت الجزائر وموقف السلطات الفرنسية منها، أنظر يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 483.

[3]- Fontaine Pierre: Bou-saada Porte du désert, ed Devry, Paris, 1952, P 65.

[4]- محمد بن الحاج محمد: المرجع السابق، ص 56.

ولقد نهجت الزاوية في ذلك منهجا مميزا تمثل فيما يلي:

أ- **الإيواء والتعليم:** يستفيد الأيتام من نفس الخدمات المقدمة لطلبة العلم من حيث الإقامة والأكل باستثناء البنات اللواتي يسكن مع الشيخ في بيت العائلة ولا يفارقهن إلا بالزواج.

ب- **التكفل المادي:** من بين أيتام الزاوية من هو صاحب ميراث أوصى أهله الشيخ بالتكفل به وبماله وهذا يستثمر الشيخ ماله وينميه له دون ان ينفق منه على تربيته، فإذا بلغ الطفل أشده دفع إليه ماله مضاعفا وأما بقية الأيتام فهم في كفالة الشيخ ينفق منه على تربيته، فإذا بلغ الطفل رشده دفع اليه ماله مضاعفا وأما الأيتام فهم في كفالة الشيخ ينفق عليهم من أمواله ومن صدقات المحسنين.

ج- **التربية العقلية والروحية:** أولت الزاوية أهمية خاصة للتربية العقلية والروحية للأيتام بجانب تربية الجسمية فكانت تعاملهم معاملة للأبناء وتحرص على تحفيظهم القرآن الكريم وتوجههم الى العلم الشرعي فعوضتهم بذلك عن فقد أباءهم وقد برز منهم الكثيرون ممن خدموا الزاوية أو درسوا بها ومنهم من تبوأ مكانة راقية في المجتمع بفضل ما تلقوه في الزاوية.

د- **التأهيل المهني:** وذلك اما علميا بحيث يصبح اليتيم قادرا على العمل في الوظائف الدينية أو الادارية واما مهنيا عن طريق ممارسته لعمل في أوقاف الزاوية بحيث يؤهله في مجال الزراعة وهي المهنة الغالبة على المجتمع الجزائري آنذاك وهذا العمل يجعل اليتيم يحس بأنه ليس عالة على أحد وأنه قادر على تقديم شيء للمجتمع[1].

لقد كانت جهود الزاوية منصبة على انتشال الأيتام من الوقوع في مخطط لافيرجي لتنصير الأطفال الجزائريين تحت غطاء التكفل بهم دينهم وتأهيلهم ليكونوا وسيلة المستعمر التي تروج لأفكاره الرامية الى تشكيك في وجود شعب جزائري أصلا وسبيله نشر القبلية والنزعات العرقية تمهيدا لتفكيك وحدته وتشتيته والقضاء عليه[2].

---

[1]- محمد بن الحاج محمد: المرجع السابق، ص 57.

[2]- سعيدي مزيان: النشاط التبشيري للكادرينال لافيرجي في الجزائر، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 54.

4/ الخدمات المقدمة للأرامل: تتكفل الزاوية بهذه الفئة على شكلين:

أ/ الأرامل المتواجدات داخل الزاوية: تضمن الزاوية لهن المأوى والمأكل والمشرب مع اشراك القدرات منهن في تحضير وجبات الطعام للزائرين والعلم

ب/ الأرامل المتواجدات خارج الزاوية: وأغلبهن من سكان القرية وقد وفرت الزاوية لهن فرص عمل في مطعم الزاوية بالنسبة للقدرات منهن أما غير القادرات فلم يكن من عادة شريفات الهامل التوجه الى الزاوية بل كانت الصدقات تصلهن الى البيوت[1].

5/ خدمات الزاوية للفقراء والمساكين: الخدمات الاجتماعية المقدمة للفقراء والمساكين لتشمل المناطق المحيطة بالهامل وامتددت الى بلاد القبائل والصحراء وقد ساهمت الزاوية في تخفيف المعاناة عن المناطق التي عرفت مقاومات شعبية كمقاومة المقراني أو الشيخ الحداد ولقد آوت الزاوية أبناء المجاهدين في كل فترات المقاومة الشعبية وكذا أثناء ثورة التحرر المباركية وتمثلت هذه الخدمات في المأكل والمشرب والمأوى والتربية والتعليم والرعاية الصحية والنفسية.[2]

6/ الخدمات المقدمة لعابري السبيل: كانت قرية الهامل ممدا القوافل الحجج المتوجهة من الغرب الى بيت الله الحرام[3]وبحكم موقعها بين الشمال والجنوب فقد كانت تستقبل القبائل التي تدخل من الجنوب الى الشمال بحثا عن الكلأ، وقد أحدت الزاوية لذلك مرافق خاصة مع بيوت للضيافة تفاني شيوخ الزاوية في بنائها وإضاءتها وتوفير وسائل الراحة فيها.

ولم يكن عابروا السبيل مع الفقراء أو الرعاة المتنقلين بل كانوا احيانا طلبة للعلم متوجهون الى الزيتونية او الازهر وكان الشيخ يدفع لهم من حاله الخاص حاثا لهم على طلب العلم والمعرفة وقد أعجب الكثيرون منهم بالتعليم في الزاوية فعدلوا عن وجهتهم وبقوا في الزاوية وأصبحوا السادة فيها[4].

---

[1]– مقابلة مع الشيخ أبي الأنوار دحية، أمين المكتبة، المصدر السابق.

[2]– عيسى بالقبي: المرجع السابق، ص 125.

[3]– الحاج مزاوي: المرجع السابق، ص 23.

[4]– منهم محمد بن عبد الرحمان الدبسي: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص 407.

7/ الخدمات المقدمة للمشردين والمعوقين: خصصت الزاوية من بين مرافقها قاعات لاستقبال فئة معينة واحتياجات خاصة وهي فئة ذوي الأمراض العقلية وقد كانت الزاوية تقوم بمحاولة تأهيلهم اجتماعيا عن طريق تكليف القادرين منهم على العمل في البساتين أو في بعض أعمال الزاوية وقد كانوا يحضرون حلقات الذكر التي عادة ما تكون يوم الخميس ليلا أي ليلة الجمعة دون أن يتعرض لهم أحد بالإهانة أو الأذى.

8/ المساهمة في أوقات الكوارث والمجاعات: كانت سنة 1869 م من أشد السنوات على الشعب الجزائري اذ مات الالاف منهم بسبب القحط وقلة المحاصيل الزراعية وقد وقفت السلطات الفرنسية من كل ذلك موقف المتفرج بل استغلت الفرصة للدفع بمشروعها التبشيري إلى أقصى مدى على يد المبشر لافيجيري[1]. وهنا برز دور الزوايا ومن بينها زاوية الهامل بعد هجرهم لأراضيهم التي لم تعود تكون لشيء.

ولم يقتصر هذا الدور على المناطق الغربية كالجلفة وسيدي عيسى والشلالة والمسيلة وعين بوسيف بل تعداه إلى منطقة الشلف حيث شاركت الزاوية في التخفيف من المجاعة التي حدثت في سنة 1893 م، ويحدد لنا صاحب "رسالة حول زاوية الهامل" محمد المكي القاسمي المبالغ التي صرفها شيخ الزاوية الشيخ أبو القاسم سنة 1920[2]، والمناطق التي جاء منها المشردون بقوله: "كفل الشيخ المترجم – الشيخ أبو القاسم القاسمي – من منكوبي ناحية الجلفة وبوسعادة والشلالة وعين بوسيف والمسيلة وسيدي عيسى ما يزيد على المائتين من العائلات زيادة على المشردين من الأهالي، وأنفق عليهم في طعامهم وكسوتهم ما يزيد عن ربع مليون من الفرنكات؟ وبقوا في العيش تحت أكتاف الزاوية وظلها إلى أن زالت تلك المجاعة وكشف الله تلك الشدة الدهماء عن عباده وبلاده[3].

---

[1]– خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1871/1830، دار دحلب، الجزائر، ص 110–111.

[2]– تقرير السلطات الفرنسية حول زاوية الهامل سنة 1952، من وثائق الزاوية القاسمي.

[3]– محمد المكي القاسم: المرجع السابق، الملحق 14.

9/ فض النزاعات والخصومات: لم يكن دور الشيوخ مقتصرا على إصدار الفتاوي بحكم إتقانهم للعلوم الشرعية، ولكن تعدى ذلك إلى فض النزاعات والخصومات سواء العائلية منها، كقضايا الزواج والطلاق والميراث، أو العامة أي المتعلقة بجرائم القتل التي عادة ما تحدث بنتيجة الصراع على الأراضي وقد كانت الأحكام محل تقدير من جميع المتخاصمين بسبب النفوذ الروحي لهؤلاء الشيوخ التي عادة ما كانوا يدفعون من أموالهم الخاصة ما يصلحون به ذات البين دفعا لكل ما يفرق شمل الجماعة.

وجد الأهالي في الزوايا بديلا عن المحاكم الفرنسية خاصة بعد قانون 1841[1]، الذي تضمن التنظيم القضائي في الجزائر، والذي بموجبه انتزعت كل الصلاحيات من القضاة المسلمين وخاصة البت في القضايا الجزائية بحجة التعاطف وعدم التشدد مع الجزائريين، واقتصر دورهم على القضايا الشخصية، وحتى هذه الأخيرة ظلت السلطات الفرنسية تتحايل حتى ألفتها، من خلال قانون سيناتور كونسيلت "Senateur Consulte"[2].

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 411.

[2]- عبد الله سليمان: شرح قانون العقوبات، دار الهدى، الجزائر، ج01، ص 43.

خاتمة

خاتمـة

تعتبر زاوية الهامل نموذجا جيدا لدارسة واقع الزوايا التي ساهمت مساهمة فعالة في الدفاع عن مقومات المجتمع الجزائري ودحر الاستعمار، وكان لها أدوار متعددة دينيا، وعلميا، وجهاديا عبر أخطر مرحلة عرفتها بالدنا وهي مرحلة الاستدمار الفرنسي الذي سخر إمكانيات هائلة لمسخ شعبنا واستعباد، فلقد دخلت الزاوية القاسمية في صراع حضاري وثقافي مع المحتل الأجنبي وبرز ذلك من خلال الأدوار والمواقف التي أشرفت عليها بنفسها وأيضا موقفها تجاه المقاومات الشعبية ودورها في ثورة التحرير الكبرى وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

- جمعت زاوية الهامل منذ تأسيسها بين العلم والعمل، مما جعلها قبلة للعامة والخاصة على مدار السنة يزورونها تقديرا لجهودها والتماسا لخدماتها في الجوانب المتعددة دينيا وعلميا واجتماعيا، وخاصة فئة العلماء الذين ترددوا عليها ومنهم الشيخ عبد الحي الكناني المحدث الشهير صاحب التراتيب والشيخ عمر بري أديب الحجاز وشاعر المدينة المنورة، وأيضا الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين، الشيخ البشير الإبراهيمي أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين، الأستاذ جاك بيرك مستشرق فرنسي، الشيخ الأستاذ أحمد توفيق المدني مؤرخ جزائري، الأستاذ فرحات عباس وغيرهم الكثير.
- وقوف الزاوية وجها لوجه لسياسة فرنسا، أي فعل فرنسي يجد رد فعل من الزاوية فإن ألغت التعليم وأغلقت المدارس، فإن الزاوية في حد ذاتها مدرسة للتعليم العربي الحر، وإن فرقت وشردت القبائل والعشائر فإن الزاوية تستقبلهم وتأويهم.
- لم يقتصر دور الزاوية على الصمود الفكري والمقاومة الثقافية، بل تعداه ليشمل جميع أشكال المقاومة بما فيها المساهمة بالمقاومة المسلحة خاصة ثورة التحرير إيمانا منها بالانتصار على العدو في هذه لشموليتها وعدم اقتصارها على جهة معينة من الوطن، مؤكدة ثباتها على النهج الوطني الأصيل.

- ربطت زاوية الهامل علاقات متينة مع العديد من الزعماء والشخصيات الدينية والعلمية والثورة كالأمير عبد القادر، الشيخ الحداد، المقراني وغيرهم، كما تشير إليه الرسائل.
- مثلت زاوية الهامل طيلة العهد الاحتلالي في المجتمع الجزائري دورا هاما في خدمة قضايا الشعب مدافعة عن مصالحه واقفة بجانبه كلما دعت الضرورة، وذلك من خلال مهامها في التعليم والإرشاد والصلاح بين المتخاصمين، والحفاظ على عادات وتقاليد المجتمع حول المقومات الشخصية لغة ودينا ووطنا، ومن ذلك ما أشرنا إليه في موقفها أثناء مجاعة 1865 م – 1868 م التي آوت الكثير من العائلات المتضررة من هذا الجفاف.
- أصبحت الزاوية نموذجا للصمود والتحدي والثبات بكونها استمرت في تأدية رسالتها طيلة فترة الاحتلال رغم القمع المطبق ضد كل ما يمثل الشخصية الجزائرية.
- لا تزال الزاوية مركز إشعاع علمي وثقافي، وحصنا من حصون الوطنية إلى أن جاءت الثورة التحريرية فأصبحت محطة لقادتها ومناضليها، ومركزا للمجاهدين يمدهم بالمؤونة والمال وبالرجال، وقد نال الكثير من طلبتها شرف الاستشهاد ومن بينهم محمد بنعزوز، محمد المقراني، شيخ الزاوية الحاج خليل القاسمي، حاشي عبد الرحمان وغيرهم الكثيرون.

وفي الختام فإننا نرى أنفسنا لم نوفي البحث حقه لطول الفترة الزمنية التي عاشتها الزاوية، لكننا ساهمنا ولو بشكل بسيط في توضيح جانب مهم من جوانب تاريخنا العريق، وما تطلبه من بحث عن وثائق وتنقل بين أماكن تواجدها، وكل ما نرجوه هو التعمق أكثر في مثل هذه المواضيع وتصحيح الأفكار الخاطئة عنها.

الملاحق

الملحق 01: الحدود الجغرافية لمنطقة الهامل

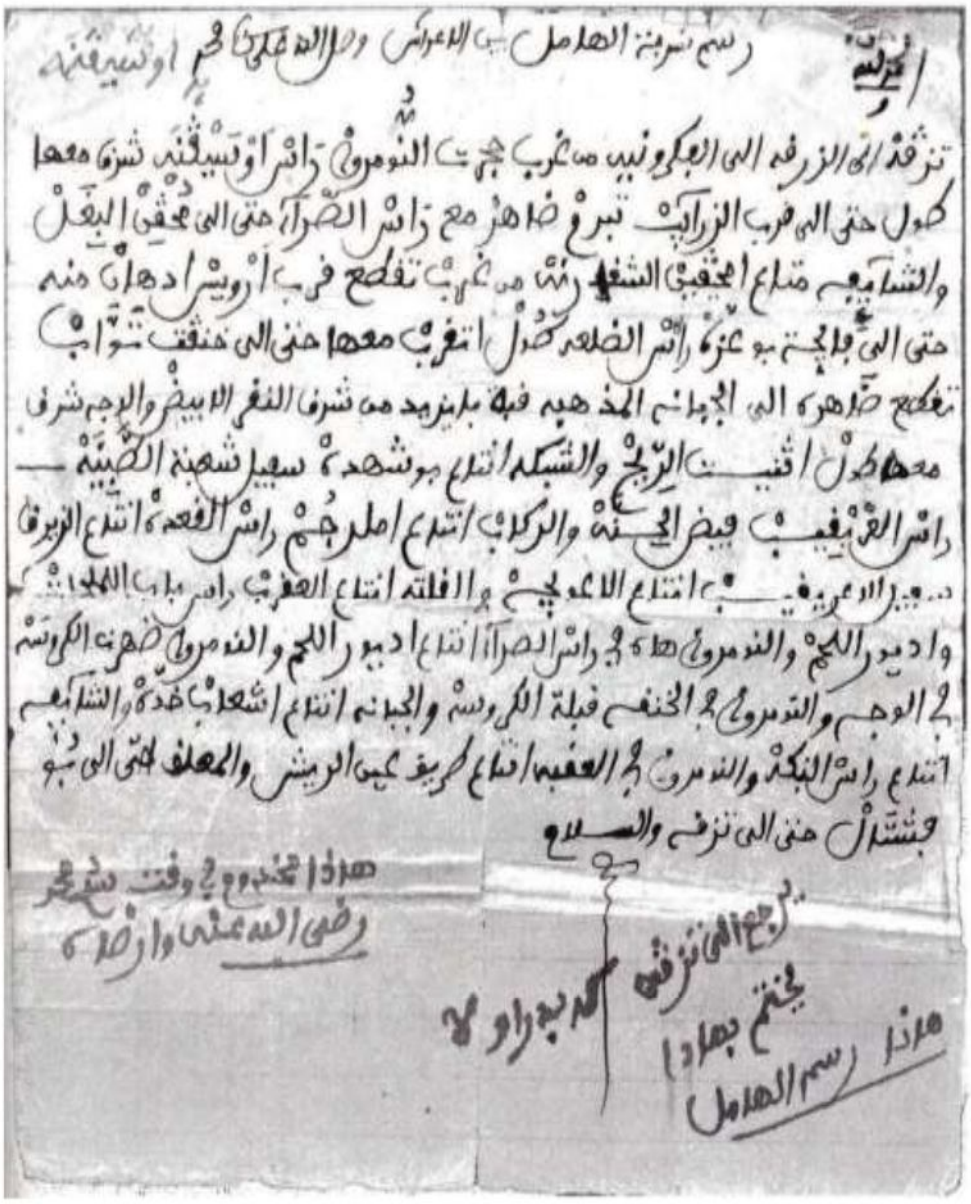

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق 02: صورة تمثل الشيخ المؤسس محمد بن أبي القاسم

المرجع: من الصور الموجودة بالمكتبة القاسمية

الملحق 03: صورة لالة زينب ابنة محمد بن أبي القاسم

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق 04: الرسم التخطيطي للزاوية

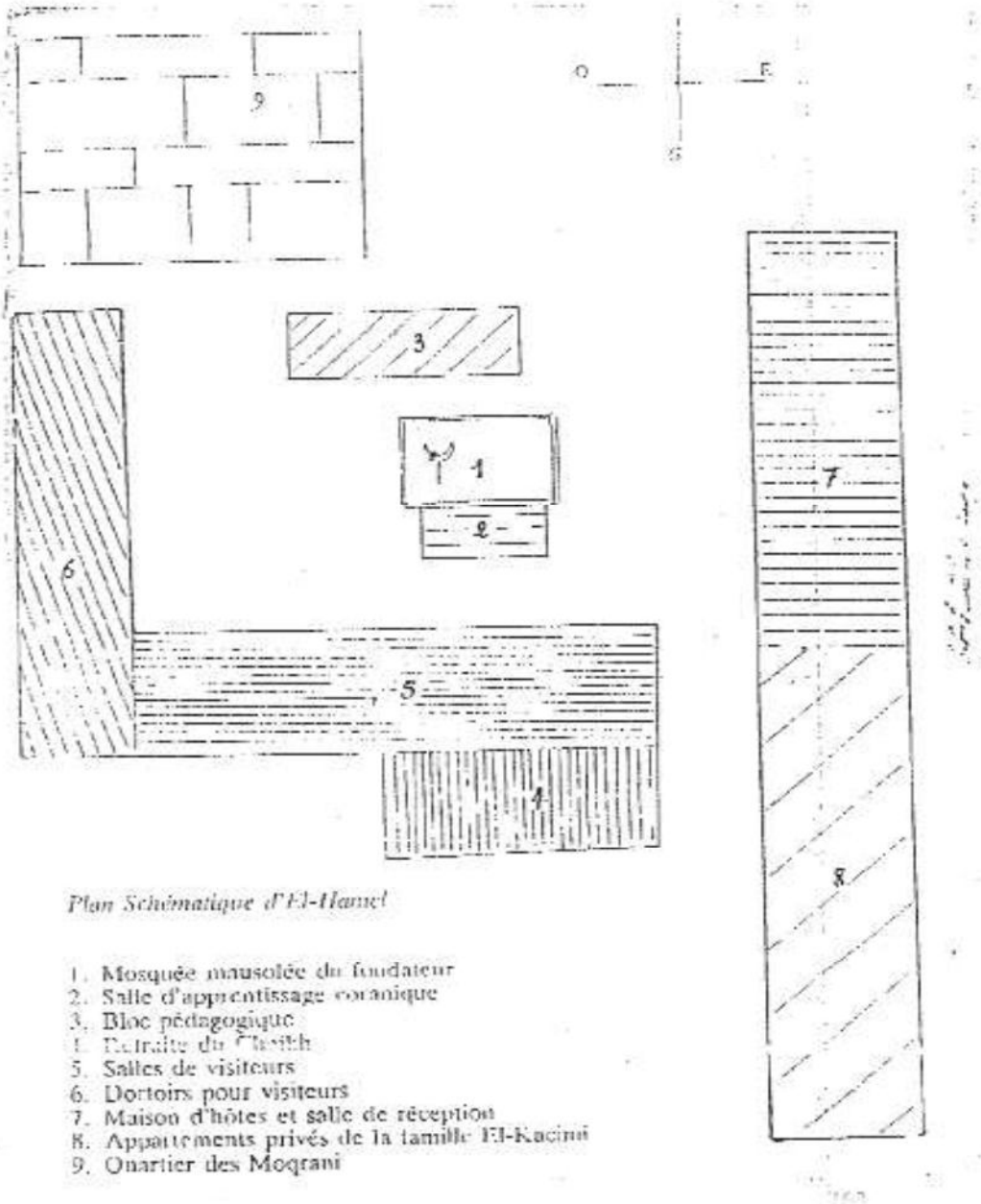

Plan Schématique d'El-Hamel

1. Mosquée mausolée du fondateur
2. Salle d'apprentissage coranique
3. Bloc pédagogique
4. Retraite du Cheikh
5. Salles de visiteurs
6. Dortoirs pour visiteurs
7. Maison d'hôtes et salle de réception
8. Appartements privés de la famille El-Kacimi
9. Quartier des Moqrani

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق 05: السفارة أو القانون الداخلي للمؤسسة

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق رقم 06: تقرير السلطات الفرنسية

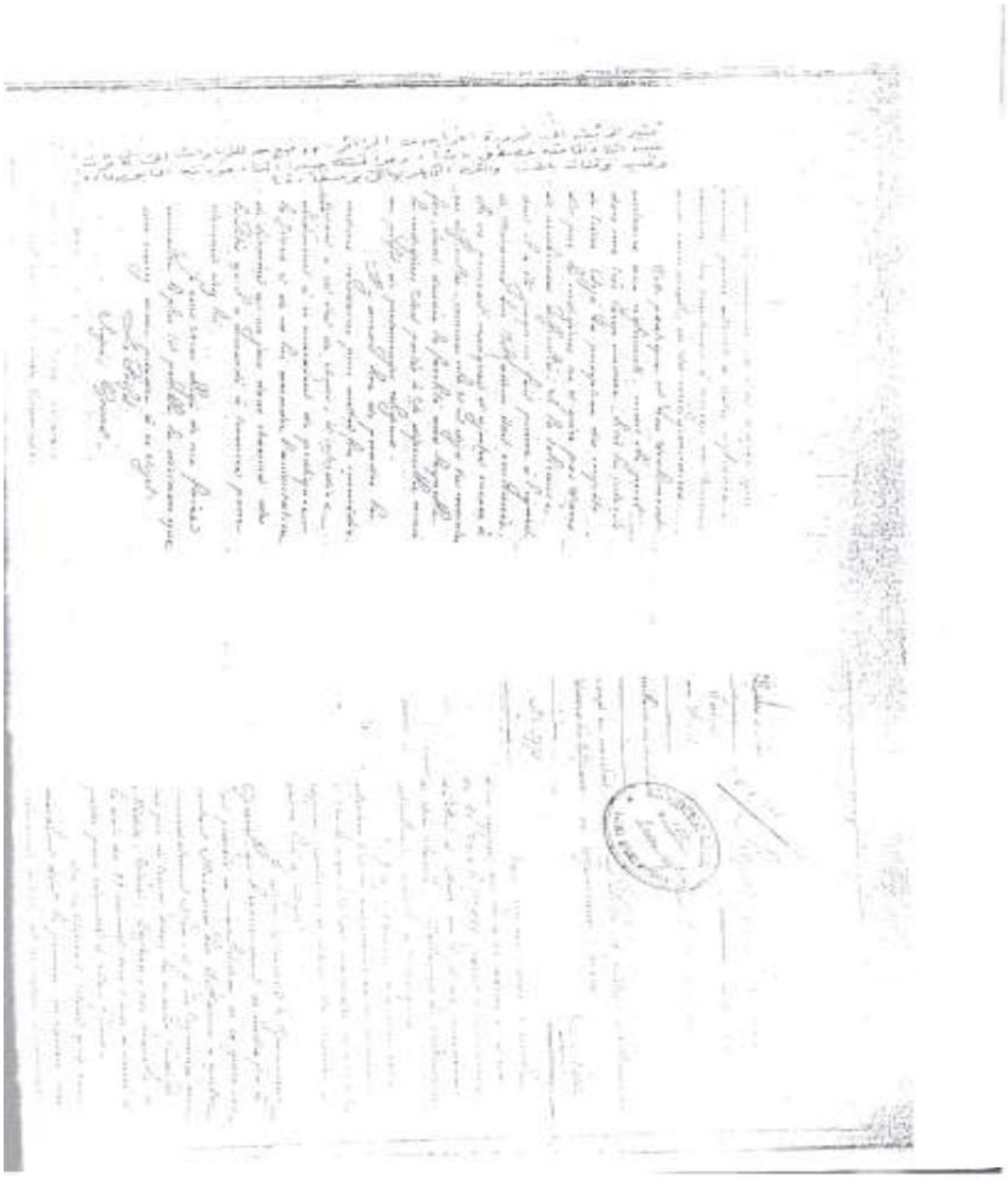

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق رقم 07: خطاب مصطفى باشا

مصطفى باشا

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق رقم 08: صورة تمثل قطع الأسلحة المستخدمة في مقاومة الأمير عبد القادر

صورة تمثل
صندوق الأسلحة

صورة تمثل قطع السلاح مستخدمة في مقاومة الأمير عبد القادر

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق 09: رسالة من الشيخ محمد إلى سي يحيا بن أقويدر بن عبد الله

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق 10: كلمة شكر ألقاها الرائد عمار صخري للمشاركة الفعالة لزاوية الهامل في معركة درمل

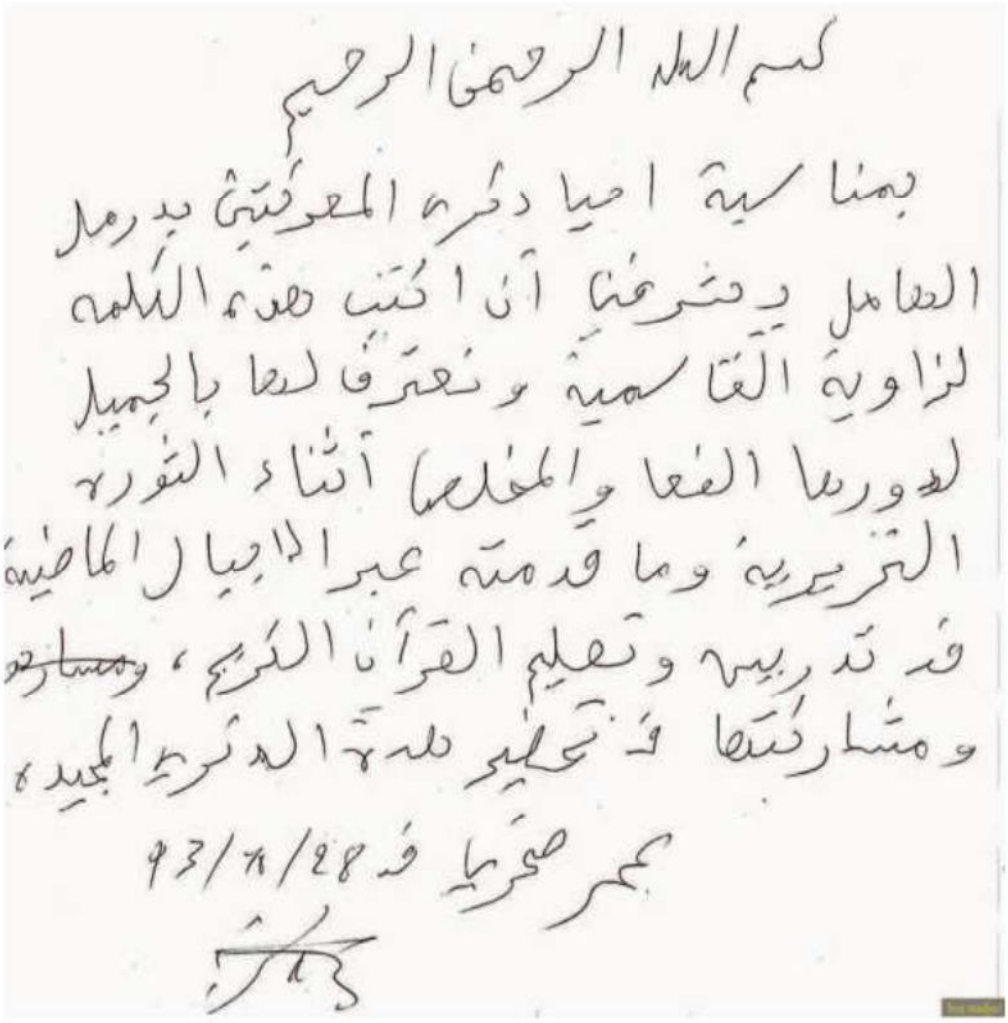

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة احياء ذكرى المعركة بدرمل الهامل يشرفنا أن اكتب هذه الكلمة لزاوية القاسمية ونعترف لها بالجميل لدورها الفعال والمخلص أثناء الثورة التحريرية وما قدمته عبر الاجيال الماضية في تربية وتعليم القرآن الكريم، ومساهمة ومشاركتها في تحقيق ثورة التحرير المجيدة

بعمر صخري في 93/11/28

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق 11: كلمة شكر ألقاها الرائد عمار صخري للمشاركة الفعالة لزاوية الهامل في معركة درمل

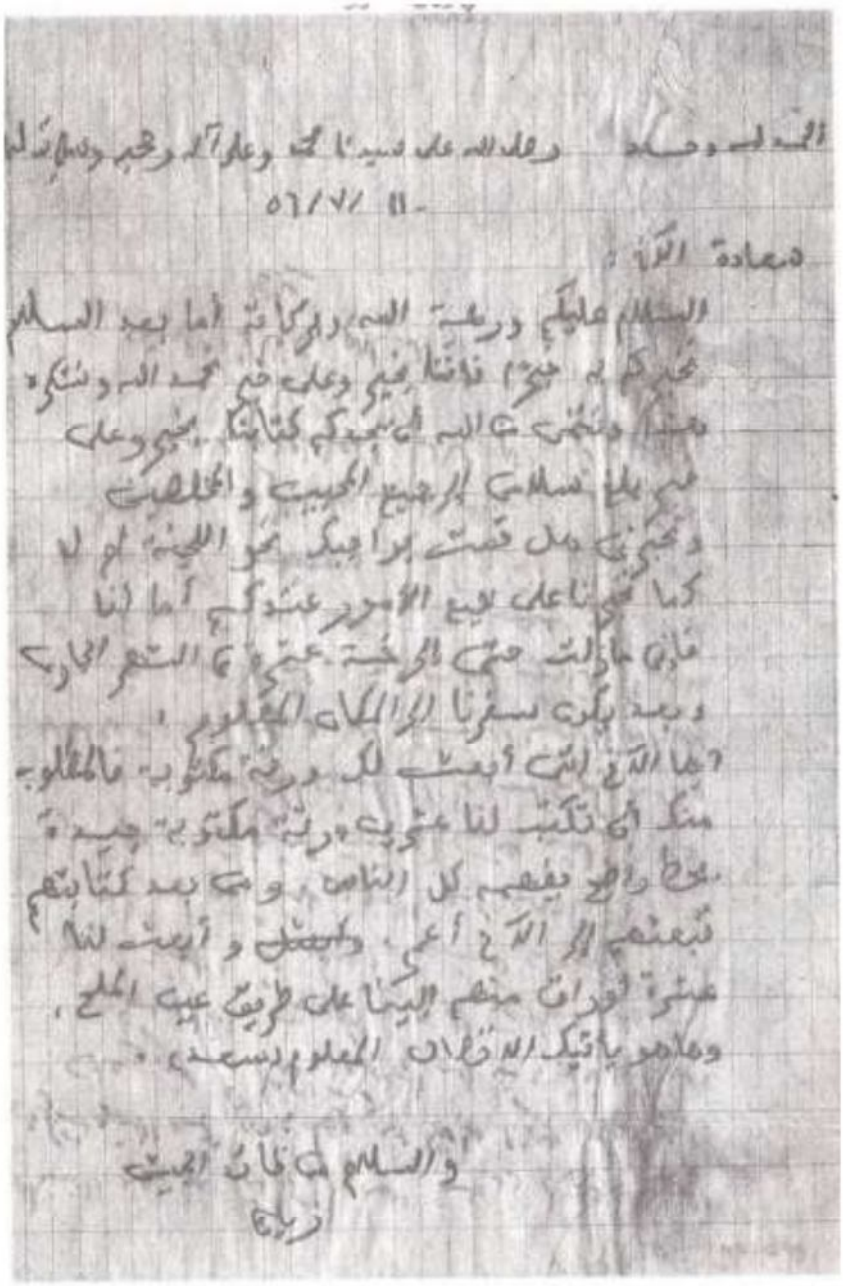

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق 12: رسالة المكي بن عزوز حول التعليم في الزاوية

اصل الكتب التي تدرس

(كتب علم التوحيد) ام البراهين للشيخ السنوسي بشرح الشيخ والشيخ الهدهدي والشيخ الباجوري الكبير والصغير لابن عبد الله محمد السنوسي جد هؤلاء التوحيد للفاسي شرح عمير السلام اللغاني العقائد النسفية بشرح السعد التفتازاني الجوهرة للشيخ احمد الدردير المقاصد لسعد الدين التفتازاني المواقف للشيخ عبد الرحمان العضد بشرح الجرجاني طوالع الانوار للبيضاوي بشرح الاصفهاني (كتب علم التصوف) الامير للمير عبد العزيز الانوار والقدسية للشيخ عبد الوهاب الشعراني بستان العارفين للشيخ نصر السمرقندي تاج العروس لابن عطاء الله السكندري تحفة الاخوان للشيخ الدردير تنبيه الغافلين للسمرقندي السنوسي على اسفار التدسي احياء للغزالي منية المريد للقلوبي لابن طاب الممكي المنح المكية للشيخ الشعراني شرح الرحابية للبانكاروي (كتب علم التفسير) الكشاف للزمخشري الجلالين للسيوطي حاشية الجمل وحاشية الصاوي الخطيب الشربيني للشربيني السيفاوي لعبد الله بن عمر السيفاوي ابو السعود للشيخ ابو السعود الفخر الرازي لفخر الدين محمد بن عمر الرازي الخازن لعلي الخازن البغدادي التسهيل لمحمد بن احمد الكلبي الغرناطي لابن الكلبي كتاب الاتقان للسيوطي

(كتب علم التجويد والقراءات) تحفة الاطفال للشيخ سليمان الجمزوري الجزرية للشيخ محمد الجزري التمهيد للشيخ محمد الجزري الشاطبية للشاطبي الوقف والابتداء للشيخ الاشموني (كتب علم الحديث) مختصر البخاري بشرح القسطلاني والعسقلاني والعيني وزكريا الانصاري مختصر البخاري للشيخ ابراهيم جمعة صحيح الامام مسلم بشرح محي الدين للنووي الشفا للقاضي عياض بشرح الخطيب ومنلا علي قاري موطا مالك شرح الزرقاني وابن عبد البر الجامع الصغير للسيوطي بشرح العزيزي والمناوي والحصني والانبابي ابو داود للامام السنوسي بشرح ابن علان التجريد للزبيدي الشمائل للترمذي للامام الترمذي بشرح الشيخ اجمل التزغيب والترهيب للامام المنذري الاربعين للامام النووي بشرح الشرقاوي وابن حجر صحيح الامام الترمذي صحيح الامام والنسائي صحيح الامام البخاري مواهب اللدنية للامام

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق 13: رسالة المكي بن عزوز حول التعليم في الزاوية

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

الملحق 14: رسالة تبين المساعدات المالية التي قدمها الشيخ محمد لأهل الجزائر

المرجع: من وثائق الزاوية القاسمية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- القرآن الكريم

2- الوثائق المنشورة المحفوظة بمكتبة الزاوية

1- رسالة من الأمير الهاشمي إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم.

2- رسالة من الأمير علي بن عبد القادر إلى الشيخ محمد ابن الحاج محمد.

3- رسالة من الشيخ محمد المقراني إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم.

4- رسالة من الشيخ أمزيان ابن الحداد إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم.

5- رسالة من الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى سي يحي بن أقويدر بن عبد الله

6- رسالة حول معركة أوذبان جانفي 1962م.

3- المخطوطات

1- الشيخ محمد بن أبي القاسم، رسالة في جواز الإفطار في التويزة.

2- وثيقة حصر تركة للالة زينب.

4- المقابلات

1- شهادة المجاهد طيبي الطيب

2- شهادة المجاهد علي امهيري

3- لقاء مع شيخ الزاوية، المأمون القاسمي، 2017/11/07

4- لقاء مع المقدم سمير، 2017/11/08

5- لقاء مع أبي الأنوار دحية، أمين مكتبة الزاوية، 2017/11/08

6- لقاء مع الشيخ جوبر، أحد معمري طلبة الزاوية، 2017/11/08

5- المصادر المطبوعة:

أ- باللغة العربية:

1- ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، دار العودة، بيروت، د. ت.

2- ابن خلدون عبد الرحمان: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج01، دار السلام، 2006.

3- أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982.

4- القاسمي الحاج الخليل: من وحي الذاكرة، مذكرات حول الثورة، إعداد الأستاذ محمد فؤاد القاسمي، مرقونة على الكومبيوتر.

5- القاسمي الشيخ محمد بن محمد: الزهر الباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية، تونس، ط01، 1308هـ.

6- عباس فرحات: ليل الاستعمار، تع: عبد العزيز بوباكير، دار القصبة، الجزائر، 2005.

ب- باللغة الفرنسية

1- Depont Octave et Coppolani Xavier. Les confrérier religieuses musulmanes, publiesous patronage de M, Jules Combon (lipographie et lithographie Adolphe Jourdan, imprimeur Libraire-editeur 4 place du gouvernement 4 Alger,1897).

2- Louis Rinn. Mrabouts et Khouans, Etude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Libraire – editeur, Alger,1884.

3- Fontaine Pierre: Bou-saada Porte du désert, ed Devry, Paris, 1952.

ثانيا: المراجع العامة

1-الكتب المطبوعة

أ- باللغة العربية

1- اتبين برنو: الأمير عبد القادر الجزائري، ط02، المؤسسة للاتصال والنشر والاستثمار، الجزائر، 2001.

2- آيت علجت محمد الصالح: صحف التصوف الجزائرية (1338-1373هـ/1920-1955)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001.

3- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: تاريخ الجزائر العام، ج04، دار الأمة، الجزائر، 2009.

4- الحاج مزاري: الهامل مركز اشعاع ثقافي وقلعة للجهاد والثورة، ط01، المطبعة العصرية، بلوزداد، الجزائر، 1993.

5- العقبي صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002.

6- العلواني محمد بن المختار: محطات من تاريخ الثورة التحريرية في الهامل، ط01، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، 2015.

7- القاسمي محمد فؤاد: فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية بالهامل، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2006.

8- القاسمي منير: التاريخ المصور لزاوية الهامل، دار الخليل المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، رويبة، الجزائر، 2007.

9- بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1871/1830، دار دحلب، الجزائر.

10- بورنان السعيد: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962) رواد المقاومة الوطنية بالقرن 19، ج01، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2004.

11- بوعزيز يحيى: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. س.

12- جاد الله منال عبد المنعم: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط01، 1997.

13- حرزلي محمد يحي: وقفات من تاريخ بوسعادة النضالي، دار الوعي، رويبة- الجزائر، 2012.

14- حرزلي محمد يحيى: العلامة الشيخ الربيع بن عطبة حزرلي، دار الحكمة ، الجزائر، 2005.

15- الحسني عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862-1962، ط01، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، 2013.

16- حميتو عبد الهادي: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، 2006.

17- دبوز محمد علي: نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج01، ط01، المطبعة التعاونية، 1965.

18- دبوز محمد علي: نهضة الجزائر، المطبعة التعاونية، دمشق، 1385هـ 52.

19- درواز الهادي: الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954-1962.

20- زمام نور الدين: السلطة الحاكمة والخيارات التنموية في المجتمع الجزائري، 1962-1998، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط01، 2002.

21- زوزو عبد الحميد: ثورة الأوراس 1875، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط01، 1985.

22- زوزو عبد الحميد: محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (على ضوء وثائق جديدة)، دار هومة، الجزائر، 2011.

23- زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط01، 1985.

24- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، 1860-1900، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

25- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

26- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

27- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954، ج03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

28- سليمان عبد الله: شرح قانون العقوبات، ج01، دار الهدى، الجزائر.

29- فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م-1962 م)، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2002.

30- فريج لخميسي: العقيد سي الحواس (مسيرة قائد الولاية السادسة 1923-1959)، د. ن، بسكرة، 2011.

31- قليل عمار: ملحمة الجزائر الجديدة، ط01، دار البعث، قسنطينة، 1991 م.

32- محمد محمود باشا: الاستيلاء على أيالة الجزائر أو (ذريعة المروحة) ترجمة: عزيز نعمان، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2005.

33- مرسي عبد الحميد: نشأة الأشعرية وتطورها دار الكتاب اللبناني، ط01، بيروت، لبنان، 1975.

34- مزيان سعيدي: النشاط التبشيري للكادرينال لافيرجي في الجزائر، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.

35- نسيب محمد: الزوايا العلمية بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د. ت.

ب- باللغة الفرنسية

1- Clancy- smith, Julia: A.Rebel and saint, Muslim notable, pupilist protest clolmial encounters, Algeria, and Tunisia, Berkeley University, 1994.

2- الدوريات والمجلات

1- المهدي البوعدلي: الاحتلال الفرنسي للجزائر مقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الأصالة، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية الجزائري، عدد 03، عام 1972.

2- مجلة " أول نوفمبر"، العدد 54.

3- مجلة "الثقافة "، السنة الثالثة عشر، عدد 75، ماي- جوان .1983

4- مجلة أول نوفمبر، العدد 81، جمادى الثانية جانفي 1987.

3- التقارير

1- تقرير السلطات الفرنسية حول زاوية الهامل سنة 1952.

4- الملتقيات

1- خواجة عبد العزيز وداود عمر: مؤسسة الآباء البيض، القضاء الديني والاقتراب المجتمعي، الملتقى الوطني حول المؤسسة الدينية، الأشكال والوظائف، 24/23 ماي 2011، جامعة معسكر.

2- عاشور خضراوي: اسهامات المرأة الجزائرية في التعليم القرآني، الملتقى الدولي الرابع للقرآن الكريم، وهران، د ت.

5- الأطروحات الجامعية

1- بن سالم مصطفى: المسجد القاسمي بالهامل، دراسة معمارية، رسالة تخرج من معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999م.

2- بن علية وفاء: زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: شاوس حباسي، باتنة، 2008.

3- بن قبي عيسى: زاوية الهامل ودورها الثقافي والاجتماعي 1863-1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1421هـ/2001 م.

4- سعود الطاهر: الجذور التاريخية والإيديولوجية للحركة الإسلامية في الجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع والتربية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010.

5- قديدة نسمة: موقف الطريقة الرحمانية من الاحتلال الفرنسي زاوية الهامل ببوسعادة 1863-1962 أنموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، 2014./2013

6- محمد السالم نواري: المدارس القرآنية وآثارها في التعليم المدرسي بمنطقة توات خلال القرن 14هـ، مدرسة الشيخ محمد بلكبير نموذجا، مذكرة ليسانس، قسم اللغة العربية وآدابها واللغات، جامعة الجزائر، 2003/.2004

6- المواقع الالكترونية

WWW.WIKIPIDIA.ORO

تم بحمد الله

ملخـــــــص

لعبت زاوية الهامل منذ تأسيسها دورا كبيرا في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية عن طريق مشاركتها في المقاومات الشعبية والثورة التحريرية، وأيضا ما قدمه أبناؤها من تضحيات في سبيل الوطن، وأيضا دورها الاجتماعي والثقافي رغم العراقيل التي تعرضت إليها من طرف المستعمر، وكانت فعلا حصنا من حصون الوطنية التي لازال التاريخ يشهد لها بذلك.

الكلمات المفتاحية: زاوية الهامل، الشيخ محمد بن أبي القاسم، بلدية الهامل، بوسعادة، الشهداء، المقومات، الهوية الوطنية.

Résumé

Depuis sa création, Al Hamil a joué un rôle majeur dans la préservation de la personnalité algérienne par sa participation à la révolution populaire de résistance et de libération ainsi que par les sacrifices consentis par ses fils pour la patrie et son rôle social et culturel malgré les obstacles du colonisateur. Des fortifications nationales que l'histoire témoigne encore

les mots clés: *Al-Hamil angle, Cheikh Mohammed bin Abi Al-Qasim, Municipalité de Hamel, Busaada, résistants, identité nationale.*